

التَّهْلِيلُ

في ثلث أجزاء

مع سورة الفاتحة وآية الكرسي

تأليف

محمد بن علي بن جميل المطري

باحث متخصص في تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية
من المشاركين في تأليف موسوعة التفسير الخاصة بموقع الدرر السنية
وأحد الباحثين الأكاديميين في موسوعة الهدايات القرآنية



الشهيد

في ثلث برجز عمر

التَّهْلِيلُ

فِي ثَلَاثِ رُجُزٍ عَمْرٍ

مع سورة الفاتحة وآية الكرسي

تَأَلَّفَ

محمد بن علي بن جميل المطري

باحث متخصص في تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية
من المشاركين في تأليف موسوعة التفسير الخاصة بموقع الدرر السنية
وأحد الباحثين الأكاديميين في موسوعة الهدايات القرآنية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م

اسم الكتاب : التسهيل في تدبر جزء عم مع سورة الفاتحة وآية الكرسي .
اسم المؤلف : محمد بن علي بن جميل المطري .
مقاس الصفحة : ١٧ × ٢٤ سم .
عدد الصفحات : (٢١٤ صفحة) .
رقم الطبعة : الأولى - ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢٠ م .
رقم الإيداع : () .
التسويق والإخراج : كيوفور للطباعة والنشر <https://bit.ly/3mMAJb3>

التسهيل في تدبر جزء عم مع سورة الفاتحة وآية الكرسي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هُداة، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، فقد أخبرنا الله أنه أنزل القرآن المبارك لتدبر آياته، ولتذكر بها أصحاب العقول ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وهذا تفسير محر مختصر لسور جزء عم، مع تفسير سورة الفاتحة التي هي أعظم سورة في القرآن، وتفسير آية الكرسي التي هي أعظم آية في كتاب الله، والقصد من هذا التفسير تسهيل تدبر آيات القرآن الكريم.

وقد لخصت هذا التفسير من أهم كتب التفسير القديمة والحديثة، لا سيما تفسير محمد بن جرير الطبري وتفسير ابن عطية وتفسير القرطبي وتفسير ابن كثير وتفسير السعدي وتفسير ابن عاشور وتفسير ابن عثيمين، مع الاستفادة كثيرا من كتب ابن تيمية وابن القيم رحمهم الله جميعا.

وحرصت في هذا التفسير على تقريب المعاني والفوائد، والتيسير على من يقرؤه أو يسمعه ليتدبر معاني كتاب الله، بما يثمر العلم النافع المقتضي للعمل الصالح.

أسأل الله أن يبارك في هذا الكتاب، وأن يجعله عوناً للمسلمين على تدبر القرآن الكريم، وأن ينفع به من قرأه لنفسه أو قرأه على غيره أو درّسه أو درّسه، ووهبته لجميع المسلمين عامة، وعسى أن يقرر على طلاب المدارس والمعاهد والمراكز العلمية، فجزى الله خيراً كل من يطبعه ويوزعه أو يوقفه في المساجد، فلا حقوق طباعة لي فيه، وأسأل الله الكريم القبول.



تدبر سورة الفاتحة

يقول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، يعني بذلك سورة الفاتحة، كما في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته»، فهي تُسمَّى السبع المثاني لكونها سبع آيات، ولأنها تُثنَّى وتعاد قراءتها في كل ركعة في الصلاة. وهذا تفسير مختصر لأعظم سورة في القرآن، سورة الفاتحة التي يُفتح بكتابتها وقراءتها في المصاحف، ويبدأ المصلي بقراءتها في صلاته، وتُسمَّى أم القرآن لأن معاني جميع آيات القرآن ترجع إليها، وكل آيات القرآن تُفصل معنى ما أجملته الفاتحة، فعلى كل مسلم ومسلمة أن يتدبرها.

يقول الله تعالى في أول سورة الفاتحة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

علَّمنا الله أن نبتدئ قراءة القرآن مستعينين به، متبركين بذكر اسمه، كما قال الله في أول سورة أنزلها على رسوله محمد ﷺ: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فيقول القارئ حين يقرأ القرآن: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أي: أبتدئ قراءتي باسم الله. والله هو المعبود الحق دون ما سواه، وهو الاسم الأعظم على التحقيق عند كثير من العلماء؛ لأنه متضمن كل اسم من أسماء الله، وجميع الأسماء الحسنى تابعة له، مضافة إليه، ولا يضاف اسم الله إليها، وهو أخص أسماء الرب سبحانه، فلا

يسمى به غير الخالق تبارك اسمه، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ﴿٨﴾ طه: ٨].

﴿الرَّحْمَنُ﴾ اسم من أسماء الله الحسنى، بمعنى: صاحب الرحمة الواسعة، فالرحمة صفة ذات الله سبحانه، ورحمته وسعت في الدنيا جميع خلقه، فهو الذي أوجدهم من العدم بقدرته، وتفضل عليهم بأنواع النعم الظاهرة والباطنة برحمته، وهو يرحم في الدنيا المسلم والكافر، والصالح والعاصي، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٥٦﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فرحمة الله وسعت في الدنيا كل شيء، لكنها في الآخرة لا تكون إلا لعباده المتقين، الذين يؤتون الزكاة، ويؤمنون بآيات الله.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعا وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة». وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الخلق، كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي».

﴿الرَّحِيمُ﴾ اسم من أسماء الله الحسنى، بمعنى: صاحب الرحمة الواصلة إلى عباده المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ الْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ﴿٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وقال عز وجل: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَعَسَىٰ ذُخْلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ

وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ [النساء: ١٧٥]، فالله يرحم المؤمنين في الدنيا والآخرة، ويلطف بهم، وفي هذا ترغيب في تحقيق الإيمان والتقوى ليفوز المؤمن برحمة الله الخاصة، وفضله ولطفه. وفي البدء بالبسمة بيان فضل ذكر اسم الله، والابتداء باسمه في الأمور المهمة كالقراءة والكتابة والأكل والشرب ونحو ذلك، فإذا ذُكر اسم الله في شيء وضع الله فيه بركته، وقد أخبر الله عن نبيه نوح عليه الصلاة والسلام أنه قال لأصحاب السفينة: ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُمْرَسَهَا﴾ [هود: ٤١].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ يُعَلِّمُ الله عباده أن يحمده بهذا القول، والتقدير: قولوا: الحمد لله. والحمد له معنيان: المعنى الأول: بمعنى الثناء، والمعنى الثاني: بمعنى الشكر، فالحمد بمعنى الثناء وبمعنى الشكر لله سبحانه، فمعنى قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: الثناء كله لله وحده، والشكر كله لله وحده. فالثناء كله لله؛ لأنه الخالق الكامل في صفاته، وما سواه مخلوق ناقص، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿١٥﴾ [فاطر: ١٥]. والشكر كله لله؛ لأن جميع النعم الظاهرة والباطنة، الدنيوية والدينية من عند الله وحده، وبتييسره ورحمته، كما قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]. روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا أحد أحب إليه المدح من الله؛ ولذلك مدح نفسه». وإذا علم المسلم استحقاق الله

لجميع المحامد، واستحقاقه الشكر على نعمه التي ربي بها جميع خلقه، فإنه يمتلئ قلبه من محبة الله، كما قال الله عن عباده المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ومن أحب الله اجتهد في عبادته، وحرص على طلب رضاه.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) الرب هو الخالق المالك المدبر، والعالمين هم كل ما سوى الله من جميع المخلوقات، من الملائكة والإنس والجن والدواب والجمادات، فالله خالق كل شيء، ومالك كل شيء، والمتصرف في جميع المخلوقات بقدرته وعلمه وحكمته، كما قال عز وجل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٦) تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢٧) [آل عمران: ٢٦-٢٧].

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٣) الرحمن الرحيم اسمان كريمان من أسماء الله الحسنى، دالان على صفة الرحمة كما يليق بعظمة الله، والفرق بينهما أن اسم (الرحمن) يدل على رحمة الله العامة بجميع الخلق، واسم (الرحيم) يدل على رحمة الله الخاصة بالمؤمنين، وأسماء الله كلها حسنى، بالغة الغاية في حسن الألفاظ والمعاني، والدلالة على كمال الصفات والعظمة، والتنزه عن جميع النقائص، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠].

وقد بدأ سورة الفاتحة بهذين الاسمين الكريمين، وكررها في هذه السورة للتأكيد على سعة رحمته، ودين الله هو دين الرحمة، فإذا علم المسلم سعة رحمة الله رجاءه، ولم يقنط من رحمته، وتاب إلى الله من ذنوبه مهما عظمت وكثرت، قال الله

تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، والله يحب الرحماء من عباده، وأخبر أن رحمته قريب من المحسنين الذين يرحمون عباده، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»، فمن أعظم الأخلاق التي يأمر بها الإسلام: الرحمة بالخلق، وعلى الدعاة إلى الله أن يكونوا رحماء بالناس، وأن يكونوا ميسرين لا معسرين، ومبشرين لا منفرين، وعليهم أن يستغفروا للمذنبين، مع نصحتهم بالحكمة والكلمة اللينة الطيبة، ووعظهم بالموعظة الحسنة، وهكذا كان نبي الرحمة محمد ﷺ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، كما قال سبحانه: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال عز وجل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [٤] أي: مالك يوم الجزاء والحساب، فمن أسماء يوم القيامة: يوم الدين؛ لأن الله يحاسب فيه جميع عباده الأولين والآخرين، ويجازيهم بأعمالهم، خيرها وشرها، ولا يملك أحدٌ في ذلك اليوم شيئاً لنفسه ولا لغيره، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [٧] ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ [١٨] يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ [١٩] [الأنفطار: ١٧-١٩]. وإذا تذكر

المسلم أن الله هو مالك يوم القيامة، وأنه يبعث عباده للحساب والجزاء، خاف ذلك المقام العظيم، فترك المعاصي والآثام، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]. وهذه الآية تحث المسلم على الاستعداد ليوم الحساب بالأعمال الصالحة، والصبر على البلاء في الدنيا الفانية، والرغبة في الآخرة الباقية، فالدنيا أمد، والآخرة أبد.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يُعَلِّمُ الله عباده أن يقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نخصك - يا ربنا - بالعبادة، متذللين لك وحدك لا شريك لك، ونستعين بك وحدك في جميع أمور ديننا ودنيانا، ونتوكل عليك في جلب ما ينفعنا، ودفع ما يضرنا، كما قال تعالى: ﴿فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وفي حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال له: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» رواه الترمذي. فيجب على الإنسان أن يعبد الله وحده لا شريك له، ولا يعبد غيره كائنا من كان، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، فيخلص المسلم جميع عباداته لله وحده، من صلاة وصيام وزكاة وحج، وغير ذلك من العبادات القلبية والقلوية والفعلية، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]. ويجب على المسلم أن يتوكل على الله وحده، فيعتمد قلبه على الله في جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، مع الأخذ

بالأسباب الشرعية. والتوكل عبادة قلبية تدل على كمال إيمان صاحبها، قال الله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلُْوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. وفي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ براءة من الشرك والرياء، فيعاهد العبد ربه أن يعبد وحده، وأن لا يشرك به شيئاً، لا ملكاً ولا نبياً ولا ولياً ولا شجراً ولا حجراً ولا دنياً ولا هوى. وفي قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ براءة من الكبر والعجب، فيتذكر العبد أن أي فضيلة فيه دينية أو دنيوية فهي من فضل الله عليه، وهو الذي أنعم بها عليه وأدامها، فلماذا يتكبر ويفخر بها على غيره؟! ولماذا يعجب بها وهي من فضل الله عليه، ولو شاء لسلبه إياها؟! فيتواضع العبد حين يتذكر أن الله هو الذي أنعم عليه النعم التي لا تعد ولا تحصى، وأعانه على تحصيل الفضائل، فلا يتكبر على عباده، ويشكر ربه على نعمه. وقُدمت العبادة على الاستعانة في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأن العبادة هي الغاية من خلق الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، والاستعانة هي الوسيلة، فقُدمت الغاية على الوسيلة، فيجب على المسلم أن يجعل عبادة الله همّه وغايته، ويستعين بالله على تحقيقها. وقد علمنا الله أن نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ولم يقل: إياك أعبد وإياك أستعين، وهذا يدل على أهمية الاجتماع في العبادات التي يشرع الاجتماع فيها كالصلاة، كما قال تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، فيصلي المسلم الفريضة في المسجد مع جماعة المسلمين، وفي الآية حث للمسلمين على التعاون على البر والتقوى فيما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ٦ أي: دُلَّنَا ووفَّقْنَا إلى الطريق الواضح
الواسع، الذي لا اعوجاج فيه ولا ضيق، ولا إفراط فيه ولا تفريط، وهو دين
الإسلام الموصل إلى رضا الله وجنته، وهو طريق واحد لا يتعدد، ومن سلك غيره
فقد ضل، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ١٥٣ [الأنعام: ١٥٣]،
وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ٨٥ [آل عمران: ٨٥]. وهذا الصراط المستقيم هو الإسلام الذي
بعث الله به نبيه محمدا ﷺ، وهو طاعة الله وطاعة رسوله، كما قال تعالى: ﴿وَأَن
أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ٦١ [يس: ٦١]، وقال سبحانه عن رسوله: ﴿وَإِنَّكَ
لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٧٣ [المؤمنون: ٧٣]. وهذا الدعاء: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ﴾ ٦ أعظم دعاء على الإطلاق، فالمسلم يحتاج أن يهديه الله لمعرفة الحق
في أمور دينه، ومعرفة الصواب في أمور دنياه، وما يجهله العبد أكثر مما يعلمه، كما
قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٨٥ [الإسراء: ٨٥]، ويحتاج العبد أن
يوفقه الله لأحسن الأعمال والأخلاق في جميع أموره وأحواله، وإذا علم العبد
الحق يحتاج أن يوفقه الله للعمل به، وإذا عمل به يحتاج أن يوفقه الله للثبات عليه،
فحاجة المسلم إلى هذا الدعاء فوق كل حاجة؛ ولذلك أوجب الله على المسلم أن
يدعو ربه بهذا الدعاء في كل ركعة في صلاته. والصراط المستقيم طريق قديم،
سلكه جميع الصالحين من قبلنا، وليس طريقا جديدا محدثا، ففي هذه الآية إبطال
جميع البدع التي لم تكن من منهج الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين

والشهداء والصالحين، قال الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام بعد أن ذكر الأنبياء السابقين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أَقْتَدَ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد» رواه البخاري ومسلم، أي: من أحدث شيئاً في الدين فهو باطل غير معتد به، وهذا الحديث صريح في رد كل البدع، وفي الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

واعلموا أن القرآن كتابٌ هداية، فمن أراد الهداية إلى الصراط المستقيم فليتدبر القرآن ويتبعه، فهو يهدي للخصلة التي هي أحسن الخصال في جميع الأمور، وفي جميع الأحوال، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وتأمل قول الله في أول سورة البقرة التي تلي سورة الفاتحة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ٢]، فكأن الله يقول: يا من يريد الهداية إلى الصراط المستقيم تدبر هذا القرآن العظيم واتبعه، فهو يهدي المتقين، ويبين لهم كل ما يحتاجون إلى بيانه، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ أي: اهدنا طريق الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، الذين علموا الحق وعملوا به، وجنبنا طريق المغضوب عليهم الذين علموا الحق

ولم يعملوا به كاليهود ومن تشبه بهم من هذه الأمة، وجنبنا طريق الضالين الذين لم يهتدوا إلى الحق لجهلهم بالحق، فهم يعملون بأهوائهم وآرائهم المخالفة لشرع الله، كالنصارى ومن تشبه بهم من هذه الأمة. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، وقال الله عن اليهود: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]، وقال الله عن النصارى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُواْ أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَنْ سَوَآءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، وقال الله عن المنافقين والمشركين: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [٦]. [الفتح: ٦]. وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي عن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اليهود مغضوبٌ عليهم، والنصارى ضالّال».

وهذه الآية: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [٧] قَسَمْتَ جميع الناس إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: من علم الحق وعمل به، القسم الثاني: من علم الحق ولم يعمل به، القسم الثالث: من جهل الحق، وعمل بالباطل على جهل، وهو يحسب أنه يحسن صنعا. ففي جميع الأمور ينقسم الناس إلى هذه الثلاثة الأقسام، في الواجبات، وفي المحرمات، وفي الفتن والخلافات المالية والأسرية والسياسية، فمن الناس من يعلم الحق ويعمل به، ومنهم من يعلم الحق ولا يعمل به، اتباعا لهواه، أو طلبا لدنيا زائلة، ومن الناس

من يضل عن الحق جهلا، إما بالإفراط أو التفريط، وهو يحسب أنه يحسن صنعا. وهذا التقسيم في جميع الأمور والأحوال، فمثلا: من الناس من يعلم أن الصلوات الخمس واجبة عليه، فهو يحافظ عليها في أوقاتها، فهذا علم الحق في هذا الأمر وعمل به. ومن الناس من يعلم أن الصلوات الخمس واجبة عليه، لكنه يتهاون بها، ويترك بعض الصلوات مع علمه بإثمه العظيم، فهذا تشبه باليهود الذين يعلمون الحق ولا يعملون به، ويُخشى عليه غضب الله إن لم يتب إلى الله. ومن الناس من لا يعلم أن الصلوات الخمس واجبة عليه، ولا يعلم أنها عمود الدين، ولا يعلم أنه يأثم أعظم الإثم بترك صلاة واحدة، فأضاع الصلاة، واتبع الشهوات، ولا يصلي إلا صلاة الجمعة أو بعض الصلوات بحسب رغبته، فهذا ضال. مثال آخر: من الناس من يعلم أن التعامل بالربا محرم، فهو يترك التعامل بالربا؛ لعلمه بأن الله حرمه، وأن الله لا يحرم شيئا إلا لضرره في العاجل والآجل، فهذا من المهتدين في هذا الأمر. ومن الناس من يعلم أن الربا محرم لكنه يتعامل بالربا، مع علمه بأنه من كبائر الذنوب، ومع علمه بأن أكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهده ملعونون، ومع هذا يتعامل بالربا طمعا في ربحٍ فإن أو رغبة في مصلحة زائلة، فهذا فيه شبه باليهود المغضوب عليهم. ومن الناس من يجهل أن الربا محرم، فهو يتعامل به أو يقع في بعض المعاملات الربوية التي لا يعلم أنها من الربا، ولا يسأل أهل العلم عن حكمها، فهذا ضال. وهكذا في جميع الواجبات وفي جميع المحرمات ينقسم الناس إلى هذه الأقسام الثلاثة، فعلى المسلم أن يحرص على سؤال الله الهداية في جميع أموره، وأن يدعو الله دعاء الغريق أن يهديه إلى الحق في

جميع أحواله، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]. وهذه الآية تحت المسلم على تعلم دينه، وسؤال العلماء عن الحلال والحرام حتى لا يكون من الضالين، وعليه أن يعمل بالحق الذي تعلمه حتى لا يكون من المغضوب عليهم. وفي هذه الآية تحذير عظيم من طاعة اليهود والنصارى، ومن التشبه بهم فيما هو من خصائصهم، وفيها الحث على مخالفتهم في أمورهم الخاصة بهم، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، وقال سبحانه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم!» قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟! قال: «فمن؟». وقد دل هذا الحديث على أن طوائف من شرار هذه الأمة سيتبعون طرق المغضوب عليهم والضالين، فلا يقع اليهود والنصارى في شيء من الضلالات إلا ومن هذه الأمة من يقع فيها وقعوا فيه، فحذرنا نبينا محمد ﷺ من اتباع سبل أولئك الذين تركوا الحق عمدا لفساد نياتهم أو تركوا الحق جهلا لفساد علمهم، فما من انحراف في هذه الأمة بإفراط أو تفريط إلا وأصله يرجع إلى تشبه اليهود المغضوب عليهم أو تشبه النصارى الضالين؛ ولذلك شرع الله للمسلم أن يسأل الله دائما الهداية إلى الاستقامة التي لا

يهودية فيها ولا نصرانية، فأى مخالفة للحق من هذه الأمة فهي ترجع إلى شُعبة من شُعب اليهود أو شُعبة من شُعب النصارى. فمثلاً: عدم تعظيم الله ورسله وكتبه، وكتمان الحق، وخلط الحق بالباطل، والحسد، وعقوق الوالدين، والتهاون بالصلاة، ومنع الزكاة، وأكل الربا، وأكل أموال الناس بالباطل، وظلم الناس، والقتل بغير الحق، والإعراض عن الحكم بما أنزل الله، واحتقار العلماء والدعاة، والإيمان ببعض الكتاب دون بعض؛ كلها من صفات اليهود كما بيّن الله ذلك في آيات كثيرة. وأيضاً: الجهل بالعقيدة الصحيحة، والابتداع في الدين ابتغاء رضوان الله بما لم يدل عليه دليل، والغلو في الصالحين برفعهم فوق منزلتهم، ودعائهم مع الله؛ كلها من صفات النصارى كما بيّن الله ذلك في كتابه.

فائدة مهمة: سورة الفاتحة هي أم القرآن وأساسه، فإليها ترجع جميع معاني آيات القرآن الكريم، وكل آيات القرآن تُفصّل معنى ما أجملته الفاتحة، وبيان ذلك فيما يلي:

- الآيات التي فيها بيان عظمة الله، والتعريف بأسمائه الحسنی، كلها تبين وتفصيل لمعنى قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١].
- الآيات التي فيها حمد الله وشكره، وبيان كثرة نعمه على عباده، وربوبيته لجميع خلقه من الإنس والجن والملائكة وجميع الدواب والجمادات، كلها تبين وتفصيل لمعنى قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

- الآيات التي فيها رحمة الله العامة بخلقه، ورحمته الخاصة بعباده الصالحين، كلها تبين وتفصيل لمعنى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ٣].
- الآيات التي فيها إثبات البعث بعد الموت، وذكر القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار، كلها تبين وتفصيل لمعنى قوله تعالى: ﴿مَلَائِكٌ يُؤْمِرُونَ الَّذِينَ﴾ [الفاتحة: ٤].
- الآيات التي فيها الأمر بعبادة الله وحده، والتحذير من الشرك والرياء، والآيات التي فيها بيان العبادات المتنوعة من صلاة وصوم وزكاة وصدقة وحج وعمره وجهاد وصبر وشكر وذكر لله ودعاء واستعاذة وتوكل وغير ذلك من العبادات الظاهرة والباطنة، كلها تبين وتفصيل لمعنى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وكذلك الآيات التي فيها الحث على الاجتماع، وترك التفرق والاختلاف، والأمر بالتعاون على البر والتقوى، كلها تدخل في معنى هذه الآية.
- الآيات التي فيها بيان الإيمان والاعتقاد الصحيح والعمل الصالح والأخلاق الفاضلة، وتوضيح الإسلام وأحكامه وشرائعه، والأمر بالتوسط بلا إفراط ولا تفريط، والنهي عن الغلو والتكلف، كلها تبين وتفصيل لمعنى قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].
- الآيات التي فيها الإخبار عن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وذكر قصصهم، كلها تبين وتفصيل لمعنى قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]؛ لنقتدي بهم في دعوتهم وصبرهم وأخلاقهم وعبادتهم لله ودعائهم.

• الآيات التي فيها الإخبار عن الكفار والمشركين، وبيان صفات اليهود والنصارى والمنافقين وعلماء السوء، والمعرضين عن كتاب الله وتحكيمه، والغافلين عن عبادة الله وطاعته، كلها تبين وتفصيل لمعنى قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]؛ لنحذر من الاتصاف بصفاتهم.

هذا، ويستحب لمن قرأ سورة الفاتحة أن يقول: (آمين)، بمعنى: اللهم استجب، ففي سورة الفاتحة أعظم وأفضل دعاء، وهو الدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم، وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا قال الإمام: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ﴿٧﴾ فقولوا: آمين، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه».

تدبر آية الكرسي

آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله، وهي تشتمل على عشر جمل، نذكر تفسيرها باختصار فيما يلي:

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: الله لا معبود بحق إلا هو سبحانه، فلا أحد كائنا من كان يشاركه في استحقاق العبادة.

﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ اسمان من أسماء الله الحسنى، فهو الحي حياة كاملة لم يتقدمها عدم، ولا يلحقها فناء، القيوم أي: القائم بنفسه، والمقيم جميع خلقه بالإيجاد والرزق والتدبير، فهو الغني عن جميع خلقه، لا يحتاج إلى الملائكة، ولا إلى العرش، ولا إلى أحد من عباده، وجميع خلقه فقراء إليه، فلا يستغني أحد من الخلق عن الله، كما قال سبحانه: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: ٥٦]، وقال عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم: ٢٥].

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ الله سبحانه لا ينعس ولا ينام، لكمال حياته، وكمال صفاته.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا بيان سعة ملك الله، فكل ما في السماوات وما في الأرض عبيد لله، مملوكون له، وهو المتصرف وحده في جميع خلقه بمشيئته وحكمته.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ أي: من هذا الذي يملك الشفاعة عند الله إلا بإذن الله؟ فلا يجزئ أحد يوم القيامة أن يتكلم إلا بإذن الله، ولا يشفع الأنبياء والصالحون والملائكة يوم القيامة إلا بإذن الله لمن يريد أن يرحمهم من المسلمين، كما قال تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ (٢٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٢٨﴾ وقال سبحانه: ﴿وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (٢٩) [النجم: ٢٦]، وقال عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ هذا بيان سعة علم الله، فهو يعلم الحاضر والماضي والمستقبل لكل مخلوق بالتفصيل، فلا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٥) [آل عمران: ٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (٦) [هود: ٦]، وقال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (١٩) [محمد: ١٩]، فالله سبحانه يعلم مستقر كل مخلوق كبير أو صغير حال حياته، ويعلم مستودعه في الأرض بعد موته، ويعلم جميع أحوالنا التي نتقلب فيها في الدنيا، ويعلم مشوى كل واحد منا في الآخرة في الجنة أو في النار، وكل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ عنده، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾

وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩].

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ هذا بيان قلة علم المخلوقين بالنسبة إلى علم الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥]، فالعباد لا يعلمون شيئاً من علم الله الواسع إلا بما شاء أن يطلعهم عليه، سواء من العلم الديني أو العلم الدنيوي، فمثلاً لا نعلم من أسماء الله الحسنى، ولا نعلم من قصص الأنبياء إلا ما أطلعنا الله عليه، كما قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]، ولا نعلم من أسرار الطبيعة إلا ما شاء الله أن يطلع العباد عليه في الوقت الذي يريده الله، كالكهرباء التي كانت موجودة في الأرض منذ خلقها الله، ولكن لم يشأ الله أن يطلع الناس عليها إلا في هذه الأزمنة المتأخرة.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ هذا بيان عظمة الله سبحانه، فالكرسي مخلوق من مخلوقات الله، يسع السماوات السبع والأرض، فالسمااء الدنيا التي زينها الله بالنجوم تحيط بالأرض من جميع جوانبها، والسمااء الثانية تحيط بالسمااء الأولى، وهكذا تحيط كل سمااء بالسمااء التي دونها، والكرسي فوق السمااء السابعة، وفوقه العرش العظيم، وهو مستقر على ماء عظيم بقدرة الله كما أخبرنا الله بذلك في كتابه في سورة هود في قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]، أي: كان ولم يزل، وروى البيهقي في كتابه الأسماء والصفات بإسناد حسن عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (ما بين السمااء الدنيا والتي تليها مسيرة خمس

مائة عام، وما بين كل سماء مسيرة خمس مائة عام، وما بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمس مائة عام، وما بين الكرسي والماء مسيرة خمس مائة عام، والعرش على الماء، والله عز وجل على العرش يعلم ما أنتم عليه)، ولا نعلم كيفية الكرسي ولا العرش، والذي نعلمه أنها مخلوقان عظيمان، والعرش أعظم من الكرسي، بل هو أعظم المخلوقات، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

﴿وَلَا يَوُدُّهُ حِفْظُهُمَا﴾ أي: ولا يُثْقِلُ اللهَ ولا يُتَعَبُهُ ولا يشق عليه حفظُ السماوات السبع والأرض وما فيهما من الخلق، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١]، وقال سبحانه: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، فهو يحيي ويميت، ويُقَدِّرُ الأرزاق، ويحيب الدعوات، ويُقَلِّبُ الليل والنهار، ويدبر الكون بما يشاء، وهو أحكم الحاكمين في تدبير خلقه.

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ هذان اسمان من أسماء الله الحسنى، فالله هو العلي بذاته وقدره وقهره، العظيم الذات والصفات، فهو أكبر من كل شيء، فلا شيء أعظم منه، فيجب على المسلم تعظيم الله، وتعظيم أمره ونهيه، وتعظيم شرعه، وطاعته والخوف من عقابه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]. ومثل اسم الله العلي الدال على علو الله على خلقه اسمان

آخران من الأسماء الحسنى، وهما: الأعلى والمتعال، والأدلة على علو الله على خلقه علوا يليق بجلاله وعظمته كثيرة جدا، منها: قول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وقوله سبحانه: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦]، وقوله عز وجل: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟!» رواه البخاري ومسلم. قال علامة اليمن السيد محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله في كتابه العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: (قوله تعالى: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ (في) هنا بمعنى فوق، كقوله: ﴿وَلَا تُصَلِّبْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، ولا يحيط بالله شيء بالإجماع، وهي في الفوقية حقيقة لا مجاز، وآيات الاستواء توضح ذلك). وقال ابن قدامة المقدسي رحمه الله في أول كتابه إثبات صفة العلو: (الله تعالى وصف نفسه بالعلو في السماء، ووصفه بذلك محمدٌ خاتم الأنبياء، وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة الأتقياء، والأئمة من الفقهاء، وتواترت الأخبار بذلك على وجهٍ حصل به اليقين، وجمع الله تعالى عليه قلوب المسلمين، وجعله مغروزا في طباع الخلق أجمعين).

انتهى تفسير آية الكرسي بحمد الله الأعلى العلي، وسبحان الله وبحمده،
سبحان الله العظيم.

تدبر سورة النبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١﴾ أي: عن أي شيء عظيم يتساءل كفار قريش؟!

﴿عَنِ النَّبِئِ الْعَظِيمِ ۝٢﴾ أي: يسأل كفار قريش بعضهم بعضاً عن الخبر العظيم، وهو القرآن الذي فيه إثبات البعث بعد الموت للحساب والجزاء. كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾ [ص: ٦٧-٦٨]. وقال سبحانه: ﴿بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝١ لَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٢﴾ [ق: ٢-٣].

﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ أي: اختلف أهل مكة في القرآن الذي أنزله الله على رسوله، فمنهم من آمن به، ومنهم من وصفه بأنه كلام مجنون أو ساحر أو مسحور أو شاعر أو أساطير الأولين، وكذلك البعث بعد الموت اختلفوا فيه، فمنهم من صدق بأنه حق، ومنهم من كذب به، ومنهم من شك فيه.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤﴾ أي: ليس الأمر كما يزعم المكذبون بالقرآن والمنكرون قدرة الله على بعث الموتى، سيعلم هؤلاء الكفار الحق عند موتهم وبعثهم، وسيعلمون ما يأتيهم من عذاب الله.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٥﴾﴾ أي: ثم ليس الأمر كما يزعم المكذبون بالقرآن والمنكرون بعث الموتى، سيعلمون الحق عند موتهم وبعثهم، وسيعلمون ما يأتيهم من العذاب.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾﴾ أي: ألم نجعل الأرض مذلة للناس كالفرش، صالحة لاستقرارهم عليها؟

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ أي: وجعلنا الجبال كالأوتاد للأرض تثبتها وتمنعها من الاضطراب.

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾﴾ أي: وصيرناكم أصنافاً، ذكورا وإناثاً؛ ليحصل التزاوج والنسل منها.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾﴾ أي: وصيرنا نومكم راحة لكم، تنقطعون به من تعب أعمالكم، وتقومون بعد نومكم بنشاطٍ متجدد.

﴿وَجَعَلْنَا لَيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾ أي: وجعلنا الليل غطاء لكم بظلامه كما يغطي الثوبُ البدن لتسكنوا في الليل.

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ أي: وجعلنا النهار مضيئاً لكم؛ لتصرفوا بنوره في طلب أرزاقكم ومصالحكم.

﴿وَبَدَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ أي: وبنينا فوقكم - أيها الناس - سبع سماوات في غاية القوة والصلابة، لا صدوع فيها، ولا تبلى مع طول الزمن.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣﴾ أي: وخلقنا شمساً مضيئة، يتوهج نورها وحرارتها لمصالح أهل الأرض.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤﴾ أي: وأنزلنا من السحاب ماء المطر المنصب إلى الأرض بتتابع وكثرة.

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥﴾ أي: لنُخرج بالمطر أنواع الحبوب التي تُحصَد كالبُر والشعير والذرة والأرز، وأنواع النبات الذي يأكله الناس، والذي ترعاه الدواب.

﴿وَجَنَّتِ الْفَاقَا ۝١٦﴾ أي: ونُخرج بالمطر ثمار بساتين التفت أشجارها بعضها ببعض؛ لكثرتها، وتقاربها، وتداخل أغصانها. ولما ذكر الله هذه النعم الدالة على كمال قدرته أتبعها بذكر البعث؛ لأن القادر على خلق هذه الأشياء قادرٌ على بعث الموتى وحسابهم، فقال:

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا ۝١٧﴾ أي: إن يوم القيامة الذي يحكم الله فيه بين عباده كان وقتاً محدداً لا يعلمه إلا الله سبحانه.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨﴾ أي: يوم ينفخ المَلَك في القرن النفخة الثانية لبعث الناس يوم القيامة، فتخرجون - أيها الناس - من قبوركم وتأتون إلى أرض المحشر للحساب والجزاء جماعاتٍ جماعات، كل أمة مع نبيهم. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهَمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١].

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ ١٩ ﴿أَي: وَشُقَّتْ السَّمَاءُ فَصَارَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَبْوَابًا مَفْتُوحَةً تَنْزِلُ مِنْهَا الْمَلَائِكَةُ.

﴿وُسِّيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ ٢٠ ﴿أَي: وَقُلِعَتِ الْجِبَالُ وَتَذَهَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى تَكُونَ لِمَنْ يَرَاهَا كَالسَّرَابِ الَّذِي لَا حَقِيقَةَ لَهُ، لِأَنهَا تَصِيرُ هَبَاءً. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وُسِّيتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ ٢١ ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ ٢٢ ﴿[الواقعة: ٥-٦].

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ ٢٣ ﴿أَي: إِنْ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَدَةً لِأَهْلِهَا، تَنْتَظِرُهُمْ حِينَ يَجْتَازُونَ عَلَى الصَّرَاطِ لِتَخْطِفَهُمْ إِلَيْهَا. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ ٢٤ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ ٢٥ ﴿[مريم: ٧١-٧٢]. وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُضْرَبُ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يَجِيزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرِّسْلُ، وَدَعْوَى الرِّسْلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ». وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي وَجَهَنَّمَ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِبٌ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ، فَنَاجٍ مَسْلَمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا».

﴿لِّلْظَالِمِينَ مَآبًا ۖ﴾ أي: جهنم مرجعا للذين طغوا في الدنيا، فجاوزوا حدهم بالكفر والمعاصي والاعتداء على عباد الله، فيستقرون فيها.

﴿لِّبَثِّينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۖ﴾ أي: في حال كون الطاغين ماكثين في جهنم أوقاتا طويلة متوالية لا تنقطع.

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۖ﴾ أي: لا يحس الطاغون في جهنم بردا يبرد أبدانهم ويُزيل الحر عنهم، ولا شرابا يُزيل عطشهم.

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۖ﴾ أي: لا يجد الطاغون في جهنم شرابا إلا الحميم الشديد الحرارة، ولا بردا إلا الغساق الشديد البرودة، المتن الرائحة، وهو ما يسيل من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم.

﴿جَزَاءً وَفَاقًا ۖ﴾ أي: عاقبهم الله في جهنم على كفرهم ومعاصيهم عقابا وافق أعمالهم، ولم يظلمهم الله سبحانه.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۖ﴾ أي: إن الكفار كانوا في الدنيا لا يخافون حساب الله لهم في الآخرة، فلم يعملوا بما يرضي الله؛ لإنكارهم البعث والحساب والجزاء.

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ۖ﴾ أي: وكذب الكفار في الدنيا بآياتنا الدالة على الحق تكذيبا صريحا مع وضوح دلالتها على توحيد الله وصدق رسله.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۖ﴾ أي: وكل شيء من أعمال العباد كتبه الملائكة بأمر الله في صحائف الأعمال، وكتبنا كل ما يكون في الكون في اللوح المحفوظ،

فلا يخفى على الله شيء. كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْرِبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]. وقال سبحانه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ [القمر: ٥٢-٥٣]. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة».

﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [٣٠] أي: يقال للكفار في جهنم توبيخا وتقريعا: فذوقوا طعم العذاب فلن نزيدكم في المستقبل إلا عذابا فوق عذابكم الذي كنتم فيه، قال العلماء: هذه أشد آية على أهل النار، فهم في مزيد من العذاب أبدا. قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]. وقال سبحانه: ﴿مَّا أُولَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [٣١] أي: إن للذين اتقوا عذاب الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه مكان فوز في الجنة.

﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ [٣٢] أي: بساتين محاطة، مشتملة على أشجار الفواكه وأنواع الأعناب.

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [٣٣] أي: ونساء شابات نواهد لم يتدلّ ثديهن، أعمارهن متساوية. كما قال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ [الواقعة: ٢٢-٢٣].

﴿وَكُؤْسًا دِهَاقًا ٣٤﴾ أي: وكؤوسا مملوءة من خمر الجنة، صافية، متتابعة على شاربها.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذْبًا ٣٥﴾ أي: لا يسمع المتقون في الجنة باطلا لا فائدة في سماعه من الكذب وغيره، ولا يُكذَّب بعضهم بعضا في حديثهم.

﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ٣٦﴾ أي: أعطى ربك المتقين على طاعتهم له في الدنيا ثوابا في الجنة كافيا كثيرا مضاعفا.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ ٣٧﴾ أي: جزاء المؤمنين في الجنة من خالق ومالك ومدير السماوات السبع والأرض وما بينهما من المخلوقات، الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء.

﴿لَا يَلِكُونُ مِنْهُ خِطَابًا ٣٧﴾ أي: لا يقدر أحدٌ من الخلق كائنا من كان أن يبتدئ يوم القيامة بمخاطبة الله بلا إذنٍ منه. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ١٠٥﴾ [هود: ١٠٥].

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ٣٨﴾ أي: يوم القيامة يقوم جبريل وجميع الملائكة صفوفا خاضعين لله.

﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ٣٨﴾ أي: لا يتكلم أحدٌ من الخلق من الملائكة وغيرهم يوم القيامة إلا من أذن الله له في الكلام والشفاعة، وتكلم بالصواب الذي يُرضي الله كتوحيد الله وحده والثناء عليه.

﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ أي: يومُ القيامة اليومُ الحق الذي لا شك في وقوعه،
ويحكم الله فيه بين عباده بالعدل.

﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ ﴿٣٩﴾ أي: فمن شاء اتخذ إلى ربه مرجعا بالتوبة
والإيمان والأعمال الصالحة لينجو من عذاب الله.

﴿إِنَّا أَنْذَرْتَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ أي: إنا حذرناكم - أيها الناس - عذاب جهنم، وهو
قريبٌ منكم؛ لاقتراب موتكم، وقرب بعثكم. كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا
وَيَرَوْنَهُ قَرِيبًا﴾ ﴿٧﴾ [المعارج: ٦-٧].

﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: يوم القيامة ينظر كل إنسان ما عمل في
الدنيا من خيرٍ وشرٍ في كتاب أعماله الذي كتبه الملائكة. كما قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ
الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَيْلَتَنَا مَا هَذَا الْكِتَابِ لَا
يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩]. وقال
سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ﴾ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة: ٦-٨].

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ ﴿٥٠﴾ أي: ويقول الكافر يوم القيامة
متحسرا: ياليتني صرتُ ترابا مثل الحيوانات التي يجعلها الله ترابا حتى لا يعذبني
الله في جهنم. قال الله تعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ [مريم: ٣٩]. اللهم إنا نعوذ بك من الحسرة يوم القيامة، ونسألك
برحمتك النجاة من النار، والفوز بالجنة مع الأبرار.

تدبر سورة النازعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ ١ أي: أقسم بملائكة الموت التي تقبض أرواح الكفار بشدة، وتبالغ في إخراجها من أجسادهم بقوة كما يبالغ الرامي في مد قوسه. كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ٥٠ [الأنفال: ٥٠]. وفي الحديث الصحيح الذي في مسند أحمد عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سودُّ الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتفرق في جسده، فينتزعها كما يُنتزع السَّقُودُ من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المُسُوح، ويخرج منها كَأَنَّ رِيحَ جيفةٍ وُجِدَتْ على وجه الأرض».

﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾ ٢ أي: وأقسم بملائكة الموت التي تقبض أرواح المؤمنين بسهولة ورفق، وسرعة وخفة. كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ٢٧ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ٢٨ [الفجر: ٢٧-٢٨]. وفي الحديث المشهور عن البراء بن

عازب رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض».

﴿وَالسَّيِّحَتِ سَبْحًا﴾ ٢ أي: وأقسم بالملائكة التي تنزل من السماء إلى الأرض وتخرج من الأرض إلى السماء سابحة في الهواء نزولا وصعودا.

﴿فَالسَّيِّغَتِ سَبْقًا﴾ ٣ أي: فالملائكة التي سبقت غيرها إلى طاعة الله بلا تأخير ولا تكاسل.

﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ ٤ أي: فالملائكة التي تدبر ما وكلها الله بتدبيره من أمر المخلوقات. كما قال تعالى: ﴿فَالْمَقْسِمَاتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات: ٤]، فقد وكل الله بعض الملائكة عليهم السلام بأشياء يدبرونها بأمره، فوكل جبريل بإنزال الوحي على الأنبياء، ووكل ميكائيل بالمطر، ووكل بعض الملائكة بالأجنة في بطون الأمهات، ووكل بعضهم بكتابة الأعمال، ووكل ملك الموت بقبض الأرواح، ووكل بعض الملائكة بعذاب القبر، وجعل ملائكة خزنة لجهنم، إلى غير ذلك من الأمور التي يدبرونها بإذن الله ومشيئته.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ ٦ ﴿أي: اذكر يوم تُزلزلُ الأرضُ عند النفخة الأولى فيموتُ جميعُ الأحياء.

﴿تَتَّبِعُهَا الرَّاكِدَةُ﴾ ٧ ﴿أي: تتبعُ النفخةُ الأولى النفخةُ الثانيةُ التي يبعثُ الله فيها جميعَ الخلق بعد موتهم. كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ٦٨ ﴿[الزمر: ٦٨].

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ ٨ ﴿أَبْصَرُهَا خَشَعَةٌ﴾ ٩ ﴿أي: قلوبُ الكفار والعصاة يوم القيامة شديدةُ الخوف والاضطراب، وأبصارُهم ذليلةٌ من شدة الأهوال.

﴿يَقُولُونَ أَءَنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَفَرَةِ﴾ ١٠ ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا تَّحَرَّةً﴾ ١١ ﴿أي: يقول المكذبون بالبعث: أئنا بعد موتنا سِيرَجَعُنَا اللهُ أحياء كما كنا في الدنيا؟! أئذا صرنا عظاما بالية مفتتة يحيينا الله؟! كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَّتًا أَءَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ٤٩ ﴿[الإسراء: ٤٩].

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ ١٢ ﴿أي: قال الكافرون تكذبا بالبعث واستهزاء: تلك الرجعة إلى الحياة بعد الموت رجعةٌ باطلة، ولو حصلت فنحن خاسرون لتكذيبنا بالبعث.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ١٣ ﴿إِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ ١٤ ﴿أي: فإنما يومُ القيامةُ صيحةٌ واحدة بلا تكرارٍ ولا تأكيد، يأمر الله الملك أن ينفخ النفخة الثانية فإذا الناس قائمون أحياء على أرض المحشر.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ٥٥﴾ أي: هل سمعت - أيها الإنسان - خبرَ النبي موسى عليه الصلاة والسلام؟

﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ٥٦﴾ أي: حين نادى موسى ربُّه سبحانه بالواد المبارك المطهر المسمى طوى بجانب جبل الطور في سيناء.

﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ٥٧﴾ أي: قال الله لموسى: اذهب إلى فرعون ملك مصر؛ لأنه تجاوز حده في الكفر وكثرة الظلم والمعاصي.

﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبُنَا ٥٨﴾ أي: فقل - يا موسى - لفرعون: هل لك إلى أن تطهر نفسك من الكفر والمعاصي، وتؤمن بالله وتطيعه؟

﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ٥٩﴾ أي: وهل لك - يا فرعون - أن أرشدك إلى عبادة خالقك ورازقك فتخشى عذابه بامثال أوامره واجتناب نواهيه؟

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ٦٠﴾ أي: فأرى موسى فرعون المعجزة الكبرى الدالة على صدقه، وهي عصاه التي تحولت بقدرة الله ثعبانا مبينا، ويده التي أخرجها بيضاء للناظرين!

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى ٦١﴾ أي: فكذب فرعون بالحق الذي جاء به موسى، وعصى ما أمره الله من طاعته.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ٦٢﴾ أي: ثم تولى فرعون عن طاعة الله واتباع موسى، مجتهدا في صد الناس عن اتباع الحق.

﴿فَحْشَرَفْنَا دَآءِىَ ٢٣ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ٢٤﴾ أي: فجمع فرعون قومه ورفع صوته مخاطبا لهم فقال: أنا ربكم الأعلى، لا أحد فوقى، وكلُّ ربِّ دونى!

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخْزَقِ وَالْأُولَى ٢٥﴾ أي: فعاقب الله فرعون عقوبة الآخرة في نار جهنم، وعقوبة الدنيا بالغرق. وقال بعض المفسرين: الأولى حين قال فرعون: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، والآخرة حين قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ٢٤﴾ [النازعات: ٢٤]، فعاقبه الله بكلمتيه الأولى والثانية، وهذا القول محتمل، والقول الأول أظهر، والله أعلم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ٢٦﴾ أي: إن في قصة موسى وفرعون، وعقوبة الله فرعون وقومه بالغرق في الدنيا عظة لمن يخاف عذاب الله.

﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ٢٧﴾ أي: هل أنتم - أيها المكذبون بالبعث - أقوى خلقا أو السماء أقوى منكم؟ فالقادر على خلق السماء وهي أعظم منكم قادرٌ على إحيائكم بعد موتكم. كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ [يس: ٨١-٨٢].

﴿بَنَيْنَاهَا ٢٧﴾ أي: بنى الله السماء ورفعها فوق الأرض بقدرته.

﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ٢٨﴾ أي: رفع الله بناء السماء عاليا عن الأرض فأتقن بناءها، وجعلها مستوية لا شقوق فيها، ولا ارتفاع أو انخفاض في جوانبها.

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ٢٩﴾ أي: وأظلم الله السماء بعد غروب الشمس.

﴿وَأَخْرَجَ صُحُفَهَا﴾ ٢٩ أي: وأظهر الله نور السماء بعد طلوع الشمس. نسب الليل والضحي إلى السماء لأنها ظاهران منها وفيها.

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ ٣٠ أي: والأرض بعد خلق السماء بسطها الله، وأخرج منافعها للعباد من الماء والنبات. قال المفسرون: خلق الله الأرض أولاً، ثم خلق السماء، ثم بعد أن خلق السماء بسط الأرض لتكون صالحة لعيش الإنسان، وأخرج منها ماءها ومرعاها. كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩].

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ ٣١ أي: أخرج الله من الأرض البحار والأنهار وعيون الماء، وأنبت نباتها مما يأكله الناس والدواب.

﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ ٣٢ أي: والجبال ثبَّتَها الله في الأرض لئلا تضرب بأهلها. ﴿مَتَّعَا لَكُمْ وَلَآتَعِمَكُمُ﴾ ٣٣ أي: منفعَةً لكم - أيها الناس - ولأنعامكم من الإبل والبقر والغنم. كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ٣٦ [البقرة: ٣٦].

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾ ٣٤ أي: فإذا جاءت المصيبة العظمى، وهي يوم القيامة. كما قال تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُ﴾ ٤٦ [القمر: ٤٦].

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ﴾ ٣٥ أي: يوم القيامة يتذكر كل إنسان ما عمل في الدنيا من خير أو شر.

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَىٰ﴾ (٣٦) أي: وأظهرت نارُ جهنم لجميع الناس فيرونها بأعينهم. كما قال تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ (٦) ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ [التكاثر: ٦-٧].

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ﴾ (٣٧) أي: فأما من جاوز حده بالكفر والمعاصي.

﴿وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٣٨) أي: وقدّم وفضل متاع الحياة الدنيا على الآخرة، فعمل لدنياه ولم يعمل لآخريته.

﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (٣٩) أي: فإن نار جهنم مستقره يوم القيامة، لطغيانه، وإيثاره الدنيا الفانية على الآخرة الباقية.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ (٤٠) أي: وأما من خاف مقامه بين يدي الله للحساب والجزاء يوم القيامة، فاتقى الله بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٤١) أي: ونهى نفسه عن الشهوات المحرمة، وصبرها على طاعة الله.

﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (٤٢) أي: فإن الجنة مستقره يوم القيامة؛ لخوفه في الدنيا من الله، ونهيه نفسه عن هواها.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا﴾ (٤٣) أي: يسألك - أيها الرسول - المكذبون بالبعث عن القيامة متى وقت قيامها؟

﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ (٤٤) أي: في أي شيء أنت من ذكر وقت قيام الساعة؟ فلا فائدة من السؤال عن وقتها، فلا يعلم وقتها إلا الله وحده.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ۖ﴾ أي: إلى ربك وحده منتهى علم وقت القيامة. كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا ۖ﴾ أي: إنما أنت - أيها الرسول - تحذر الناس عذاب الله، فينتفع بإنذارك من يخاف عذاب يوم القيامة.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ۖ﴾ أي: كأن الكافرين يوم يُبعثون من قبورهم ويرون أهوال القيامة لم يعيشوا في الدنيا إلا قدر آخر النهار أو أول النهار؛ لقصر مدة الدنيا، وطول الآخرة التي لا نهاية لها. كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ [يونس: ٤٥].

تدبر سورة عبس

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

هذه السورة لها سبب نزول: وهو أن النبي ﷺ كان يدعو بعض كفار قريش إلى الإسلام، فجاء رجل أعمى، يطلب من النبي ﷺ أن يعلمه القرآن، والنبي عليه الصلاة والسلام مشغول بذلك الرجل الكافر الذي يحرص على إسلامه، فمن حسن أخلاق النبي ﷺ أنه لم ينهر الأعمى، وإنما عبس بوجهه الكريم وأعرض عنه انشغالا بغيره، فعاتبه الله بهذه الآيات:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢﴾ أي: قطب وجهه النبي عليه الصلاة والسلام إظهارا للكراهية، وأعرض بوجهه وبدنه عن الرجل الأعمى إلى من كان مشغولا بدعوته من صناديد قريش، والرجل الأعمى هو ابن أم مكتوم رضي الله عنه بإجماع المفسرين.

﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۝٣﴾ أي: وما يدريك - أيها الرسول - لعل هذا الأعمى يتزكى بما يسمع منك من القرآن، فيتطهر من الذنوب والأخلاق السيئة، ويتحلى بأحسن الأخلاق، ويزداد علما نافعا وعملا صالحا؟

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۝٤﴾ أي: وما يدريك لعل هذا الأعمى يتعظ حين يسمع القرآن فتنفعه الموعظة، ويعمل بعلمه؟

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾﴾ أي: أما من استغنى بماله عن عبادة الله وعن سماع كتابه فأنت تتعرض له بالدعوة، وتقبل عليه بوجهك، رجاء أن يهتدي إلى الإسلام!

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي ﴿٧﴾﴾ يعني: وأي شيء عليك أن لا يتطهر من الكفر والمعاصي؟! فلا تبال بالكافر المتكبر. كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ﴿١٧٦﴾﴾ [آل عمران: ١٧٦]. وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾ [لقمان: ٢٣].

﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾﴾ أي: وأما الرجل الأعمى الذي جاءك يمشي سريعا لحرصه على سماع القرآن وتعلم الدين، في حال كونه يخاف الله.

﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَاكِهٌ ﴿١٠﴾﴾ أي: فأنت عن هذا الأعمى الحريص على الخير تتشاغل بدعوة غيره!

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾﴾ أي: لا تشغل بعد هذه الموعظة عن كل من يأتيك حريصا على تعلم دينه، إن آيات القرآن موعظة لجميع الناس، تذكركم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم. وفي هذا موعظة من الله لنبیه ولكل واحد من أمته ألا يخص بالدعوة إلى الله أحدا، بل يعم بتبليغ القرآن وتعليمه الشريف والضعيف، والغني والفقير، والرجال والنساء، والكبار والصغار، ثم الله يهدي من يشاء.

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٢﴾﴾ أي: فمن شاء من الناس اتعظ بهذا القرآن وتدبره، وعمل بما فيه، فقد بين الله فيه الهدى. كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ

فَلْيُؤْمِنُ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴿٢٩﴾ [الكهف: ٢٩]. وقال عز وجل: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ﴿١٩﴾ [المزمل: ١٩].

﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾ ﴿١٣﴾ أي: القرآن مكتوب في صحف في السماء، معظمة عند الله وملائكته.

﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ ﴿١٤﴾ أي: الصحف التي في السماء المكتوب فيها القرآن مرفوعة المكانة والقدر، مطهرة من كل دنس ونقص وتحريف وخطأ، ولا تناها الشياطين. كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ ﴿٢٢﴾ [البروج: ٢١-٢٢].

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ أي: الصحف المكتوب فيها القرآن في السماء بأيدي ملائكة يتلون القرآن، وهم وسطاء بين الله وأنبيائه بالوحي، وهم كرام عند الله، كاملي الخلق والأخلاق، كثيري العبادة لله سبحانه. كما قال تعالى: ﴿فَأَتْلَوْنَهَا﴾ ﴿٣﴾ [الصافات: ٣]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْأَمْطَهُرُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩]، وهم الملائكة الذين في السماء، وهكذا ينبغي للمسلم أن يعظم المصحف فلا يمسُّه إلا وهو طاهر.

﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ أي: لعن الإنسان الكافر ما أشد كفره بالله الذي خلقه! فغالب الناس كفروا بالله منذ أقدم عصور التاريخ، وتفشى الكفر بين أفراد الأمم، وانتصروا له، وحاربوا من يدعوهم إلى توحيد الله وطاعته وتحكيم شرعه، وهذا تعجيبٌ من شدة كفر الإنسان، فكفره شديد، فهو يكفر

بوحداية الله، وبقدرته على بعث عباده يوم القيامة، وإرساله الرسل، وبالوحي الذي أنزله على رسله، وهو كفرٌ قويٌّ لا يقبل الكافر الرجوع عنه، مع تكرار التذكير والإنذار والتهديد، إلا من وفقهم الله للتوبة إلى الإسلام.

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ﴾ (١٨) يعني: من أي شيء ضعيفٍ حقيرٍ خلق الله الإنسان حتى كفر بربه، وتكبر عن عبادته؟! فليتفكر الإنسان من أي شيء خلقه الله، فقد خلقه من المني الحقيق. كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ (٢٠) [المرسلات: ٢٠].

﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ۖ﴾ (١٩) أي: من نطفة مني خلق الله الإنسان، فقدَّره في بطن أمه أحوالا، نطفة ثم علقه ثم مضغة، إلى أن تم خلقه بشرا سويا. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) [المؤمنون: ١٢-١٤].

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۖ﴾ (٢٠) أي: ثم سهل الله للجنين طريق الخروج من بطن أمه بقدرته، وبين للإنسان طريق الحق بما أنزل من كتبه، وأرسل من رسله. ففي هذه الآية قولان لأهل العلم، كلاهما صحيح، فالله يسر للإنسان الخروج من بطن أمه، وبين له طريق الحق، وسهل عليه عمله.

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ ۖ فَأَقْبَرَهُ ۖ﴾ (٢١) أي: ثم قبض الله روح الإنسان بعد أن أحياه، وأمر الناس الأحياء أن يدفنوه بعد موته، فصيّره ذا قبر إكراما له، ولم يجعله كسائر

الحيوانات التي تكون جيفُها ملقاة على وجه الأرض. وفي هذا دليل على وجوب دفن الموتى من الناس دون إحراقهم بالنار كما يفعل كفارُ الهند.

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرُهُ ۝٢٢﴾ أي: ثم إذا شاء الله أن يبعث الإنسان المقبورَ أحياء يوم القيامة ليجازيه على أعماله.

﴿كَلَّا لَمَّا يَقُضْ مَا أَمَرُهُ ۝٢٣﴾ أي: ليس الأمر كما يظن الإنسان من أنه قد أدى جميع ما أوجب الله عليه، بل لم يقم الإنسان بكل ما فرض الله عليه من فعل الطاعات، واجتناب المعاصي. ولذلك قال تعالى: ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦]. وقال سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۝٢٤﴾ أي: فلينظر الإنسان المكذبُ بتوحيد الله وقدرته على بعث عباده إلى طعامه متفكراً في كيفية خلقه، وتيسير أسباب حصوله.

﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝٢٥﴾ أي: أنا أنزلنا ماء المطر من السحاب إنزالاً كثيراً.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦﴾ أي: ثم صدّعنا الأرض فجعلناها شقوقاً ليخرج منها النبات.

﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧﴾ أي: فأنبتنا في الأرض أنواعَ الحبوب كالقمح والشعير والذرة والأرز وغير ذلك.

﴿وَعَبًّا وَقَضَبًا ۝٢٨﴾ أي: وأنبتنا في الأرض أنواعَ الأعناب، والقضبِ الرطب الذي تأكله الأنعام والدواب.

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ ﴿٢٩﴾ أي: وأنبتنا في الأرض الزيتون الذي يؤكل ويُستخرج منه الزيت، وشجر النخيل الذي يُثمر الرُّطْبَ والتمر، ويتنفع الناس بسعفه وجريده وليفه وجذوعه ونوى تمره.

﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ ﴿٣٠﴾ أي: وأنبتنا في الأرض بساتين غليظة الأشجار، فيها أنواع الثمار.

﴿وَفِكْهَةً وَقَبْأًا﴾ ﴿٣١﴾ أي: وأنبتنا في الأرض أنواع الفواكه التي يأكلها الناس، والعشب والحشيش الذي تأكله البهائم.

﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَمَ لَكُمْ﴾ ﴿٣٢﴾ أي: أنبت الله الحبوب والثمار التي يأكلها الناس والقضب والعشب الذي تأكله الدواب منفعة لكم - أيها الناس - ولأنعامكم من الإبل والبقر والغنم.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ﴾ ﴿٣٣﴾ أي: فإذا قامت القيامة بشدة صوتها الذي تصم منه الآذان.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ ﴿٣٤﴾ أي: يوم تأتي القيامة يهرب كل إنسان من أخيه من شدة الأهوال.

﴿وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ﴾ ﴿٣٥﴾ أي: ويهرب كل إنسان من أمه التي ولدته وربته وكانت في الدنيا تحن عليه، ومن أبيه الذي ينتسب إليه وكان يعطف عليه.

﴿وَصَحْبَتَهُ وَيْنِهِ﴾ ٣٦ أي: ويهرب كل إنسان من زوجته التي كانت ملازمةً له في الدنيا، ومن أبنائه الذين هم أحب الناس إليه، فلا يسألهم عن أحوالهم، ولا ينفعهم بشيء.

﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ ٣٧ أي: لكل إنسان من الأقارب يوم القيامة أمرٌ عظيمٌ يهمه، قد شغله عن النظر في أمر غيره. كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ ٣٨ أي: وجوه المؤمنين يوم القيامة مضيئةٌ مشرقة. ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ ٣٩ أي: ضاحكةٌ من السرور لنجاتها من النار، مستبشرةٌ بدخول الجنة.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ ٤٠ أي: وجوه الكافرين يوم القيامة عليها غبارٌ من تراب.

﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ ٤١ أي: تغشى وجوه الكافرين يوم القيامة سوادٌ كال دخان من شدة الكرب والخوف.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ ٤٢ أي: أولئك الذين تسود وجوههم يوم القيامة هم الكفرة الذين كانوا في الدنيا يكذبون بالحق، الفجرة الذين كانوا يعملون المعاصي.

تدبر سورة التكوير

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ أي: إذا الشمس جُمع بعضها إلى بعض، وذهب نورها. روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الشمس والقمر مكوران يوم القيامة». ويوم القيامة تكون الشمس في النار، كما قال تعالى: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۝٢٣﴾ [الصفات: ٢٢-٢٣]، فكل ما عبد من دون الله يُلقى في جهنم من الشمس والقمر والأصنام وغير ذلك؛ إغاضة لمن كان يعبد، وليعلم المشركون أن ما عبدوه لا ينفعهم، وهي لا تعذب بذلك، بل تكون عذابا لمن عبدها، وأما من عبد من الأنبياء والملائكة والصالحين فإنهم بعيدون عن النار كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ۝٩٨﴾ لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ آِلِهَةً مَّا وَرَدُّوهُا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ۝١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١﴾ [الأنبياء: ٩٨-١٠١].

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝٢﴾ أي: وإذا النجوم تساقطت، ويعلم حينئذ المشركون الذين كانوا يعبدونها أنها لا تنفعهم.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ أي: وإذا الجبال سيرها الله عن وجه الأرض بعد قلعها من أماكنها، فتكون هباء. كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴿٤٧﴾﴾. وقال سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١١٧﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١١٨﴾ لَا تَبْقَى فِيهَا غِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١١٩﴾﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧]. وقال جل شأنه: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ [النبا: ٢٠].

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾﴾ ﴿الْعِشَارُ﴾ جمع عُشْرَاء، وهي الناقة الحامل إذا بلغت عشرة أشهر حملها، فقاربت أن تضع حملها؛ لأن مدة حملها اثنا عشر شهرا، والعِشَارُ أنفُسُ أموال العرب، ومعنى: ﴿عُطِّلَتْ﴾ أي: تُرِكَت لا يُتَنَفَعُ بها، هكذا فسر الآية الصحابة والتابعون، وهم أعلم الأمة بتفسير كتاب الله، فالمعنى: وإذا النوقُ الحواملُ التي قاربت الولادة تركها أصحابها، فلم يتنفعوا بها، ولا بأولادها وألبانها، وانشغلوا عنها بسبب شدة أهوال يوم القيامة.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾ أي: وإذا الوحوش جُمِعت يوم القيامة، فيبعثها الله ليُري الناس كمال قدرته في بعث جميع خلقه حتى الحيوانات، ويريهم كمال عدله في الاقتصاص من بعضها لبعض، ثم يميئتها ويجعلها ترابا. كما قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿١٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿١٥﴾﴾ [مريم: ٩٣-٩٥]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمُّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨]. وقال عز وجل:

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيِّنَنِي كُنْتُ تُرْبًا﴾ [النبا: ٤٠]. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء».

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ ٦ أي: وإذا البحار فاضت وانفجر بعضها على بعض، وصارت بحرا واحدا ملتها. كما قال تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ ٦ [الطور: ٦]. وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ ٣ [الانفطار: ٣].

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ ٧ أي: وإذا قرن الناس بأمثالهم في الدين والأعمال، فيُجمع المسلمون مع المسلمين، واليهودُ مع اليهود، والنصارى مع النصارى، وكل أصحاب عمل صالح أو سيء مع أشباههم. كما قال تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ ٧ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ٨ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ٩ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ١٠ [الواقعة: ٧-١٠]. وقال بعض المفسرين: المعنى: الأرواح ترجع إلى الأجساد، وهو معنى صحيح يحتمله لفظ الآية، فالأجساد تخرج من القبور، وترجع إليها أرواحها، فيكون الإنسان يوم القيامة بجسده وروحه.

﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ﴾ ٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ٩ أي: وإذا البنت المدفونة في التراب وهي حية سئلت توبيخا وتقريعا لقاتلها عن سبب قتلها وهي لم تعمل ذنبا! وقد كان بعض العرب في الجاهلية يدفن بنته وهي حية كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ٨ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ٩ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ١٠ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ١١ [النحل: ٥٨-٥٩].

[٥٩]. ومن الواد الإجهاض، وهو إسقاط الجنين، فلا يجوز إسقاط ما في بطن الأم وإن كان نطفة، قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَكُمْ تَنَزُّهُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِن قَتَلْتُمْ كَانَتْ خَطَا كَبِيرًا﴾ [٣١] [الإسراء: ٣١].

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [١٠] أي: وإذا صحف أعمال الناس فتحت يوم القيامة، فيأخذ كل إنسان كتابه بيمينه أو شماله؛ ليقراً ما فيها من أعماله خيرها وشرها، كبيرها وصغيرها. كما قال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [١٣] ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [١٤] [الإسراء: ١٣-١٤].

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [١١] أي: وإذا السماء نزع من مكانها وقُلت كما يُقلع السقف.

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ [١٢] أي: وإذا نار جهنم أوقد عليها فأحيت لأهلها، وزاد لهبها اشتعالا.

﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [١٣] أي: وإذا الجنة قُربت لأهلها المتقين.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [١٤] أي: إذا وقعت هذه الأمور علمت وتيقنت كل نفس ما أحضرت للحساب من أعمالها. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْخَنَسِ ۝١٥﴾ أي: فأقسم بالنجوم العظيمة التي تختفي عن أعين الناس في النهار، وترجع في مجراها حتى تظهر للناس من جهة المشرق في الليلة الأخرى كما طلعت في الليلة الأولى.

﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۝١٦﴾ أي: النجوم التي تجري ليلاً في السماء من المشرق إلى المغرب، وتستتر عن أعين الناس عند مغيبها.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧﴾ أي: وأقسم بالليل إذا أدبر بظلامه.

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ أي: وأقسم بالصباح إذا أقبل بنوره شيئاً فشيئاً حتى تطلع الشمس.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩﴾ أي: إن هذا القرآن ينزله على محمد رسول كريم عند الله، كامل الخلق والأخلاق، وهو جبريل عليه السلام. كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾ أي: جبريل صاحب قوة عظيمة على فعل ما يأمره الله به، له عند الله صاحب العرش مكانة عالية، فهو أفضل الملائكة.

﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١﴾ أي: جبريل مطاع هناك في السماء، تُطيعه الملائكة، أمين عند الله على ما ائتمنه عليه، ومن ذلك تبليغه الوحي إلى الأنبياء بلا زيادة ولا نقصان ولا كتمان.

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ يقول الله لكفار قريش: وما نبيكم محمدٌ الذي تعرفون صدقه وأمانته بمجنونٍ كما تزعمون، بل جاءكم بالحق الواضح، وهو أكمل الناس عقلاً.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ أي: ولقد رأى محمدٌ جبريلَ في صورته التي خلقها الله عليها في السماء من جهة المشرق التي ترى الأشياء منه بوضوح. كما قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ ٥ ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ ٦ ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ٩ ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ ١٠ ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ ١١ ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ ١٢ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ١٣ ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ ١٤ ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ ١٥ ﴿[النجم: ٥-١٥]، قال العلماء: رأى النبي عليه الصلاة والسلام جبريلَ على صورته التي خلقه الله عليها مرتين فقط، المرة الأولى رآه النبي في مكة، في أفق السماء، والمرة الأخرى رآه ليلة المعراج عند سدرة المنتهى في السماء السابعة، وكان يراه وهو على صورة رجل أو يسمع صوته ولا يرى صورته. روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستائة جناح.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ أي: وما رسول الله ببخيلٍ على الناس بالقرآن الذي يخبر بالمغيبات، بل كان يبلغ جميع الناس القرآن من غير أن يطلب منهم مالا على تلاوته عليهم وتبليغه. كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ٩٠ [الأنعام: ٩٠].

﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ ٢٥ أي: وما القرآن بقول شيطانٍ ملعونٍ مطرودٍ من رحمة الله، بل هو كلامُ الله أنزله على رسوله محمدٍ بواسطة جبريل، ولم ينزله عليه شيطانٌ كما يزعم المشركون. قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ ٢٦ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢٨﴾ [الشعراء: ٢١٠-٢١٢].

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ ٢٩ أي: فأين تذهبون - أيها المشركون - عن هذا القرآن إلى غيره مع وضوح الحق في القرآن بدلائله؟ وإلى أي طريق تذهب عقولكم في تكذيبكم بالقرآن وادعاء الباطل فيه؟!

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ٣٠ أي: ما هذا القرآن إلا عظةٌ من الله لجميع الإنس والجن، يتذكرون به ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ ٣١ أي: القرآن موعظة من الله لمن شاء منكم - أيها الإنس والجن - أن يستقيم على الحق، فمن أراد الهداية فعليه أن يتدبر القرآن ليهتدي به. كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ٣٢ [البقرة: ٢].

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٣٣ أي: وما تقدرون أن تستقيموا على الحق إلا أن يشاء الله ربُّ كلِّ شيءٍ أن يهديكم. كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٣٤ [البقرة: ٢١٣]. وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ ٣٥ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ [المدثر: ٥٥-٥٦]. وقال عز وجل: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ٣٦ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٧﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٨﴾ [الإنسان: ٢٩-٣١]. وفي هذا إعلامٌ بأن الإنسان لا يستطيع أن يهتدي ولا

أن يعملَ خيراً إلا بتوفيق الله له، فالقلوب بيد الله، وعلى المسلم أن يكثّر من سؤال الله الهداية، ولا حول لنا على التحول من شر إلى خير، ولا قوة لنا على فعل الخير إلا بالله. اللهم اهدنا الصراط المستقيم، وحبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، واهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

تدبر سورة الانفطار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ أي: إذا السماء انشقت يوم القيامة.

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾﴾ أي: وإذا الكواكب تساقطت.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ أي: وإذا البحار فجّر الله بعضها على بعض، مالحها وعذبها، فصارت كلها بحرا واحدا ممتلئا، وتلتهب لها عظيما كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾ [التكوير: ٦].

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾﴾ أي: وإذا القبور أثّرت، وأخرج ما في بطنها من الأموات، وأحياهم الله بقدرته للحساب والجزاء.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾ أي: إذا وقعت هذه الأمور علمت حينئذ كل نفس بجميع أعمالها، أولها وآخرها، خيرها وشرها، ما عملت من خير وما ضيعته فلم تعمله، ما قدّمت في حياتها وما أخّرت إلى بعد موتها، من سنة حسنة أو سيئة، فهذه المعاني كلها تدخل في هذه الآية كما قال تعالى: ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة: ١٣].

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ٦ أي: يا أيها الإنسان الكافر والعاصي أي شيء غرك بربك حتى كفرت به وعصيته وتركت طاعته وشكره، وهو الكريم الذي خلقك من العدم، وأنعم عليك بنعمه الظاهرة والباطنة؟!

﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ ٧ أي: الذي خلقك من نطفة، فسوى خلقك وأتقنه بقدرته، فجعلك معتدل القامة، تام الخلق، متناسب الأعضاء.

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ ٨ أي: خلقك الله - أيها الإنسان - في أي صورة شاء الله أن تكون عليها، من ذكورة وأنوثة، ومقدار حسن، وتعيين لون، وفي أي شبه ببعض أقاربك، فخلقك كما يشاء هو، لا كما تشاء أنت، وأوجدك في المكان والزمان الذي اختار أن يختبرك فيه، فكل شيء بمشيئته سبحانه.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ ٩ كلا تأتي بمعنى حقا، وتأتي بمعنى الردع والزجر، وهي هنا تصلح للمعنيين، والدين يأتي بمعنى الحساب، ويأتي بمعنى الشرع، وهو هنا يصلح للمعنيين. ومعنى الآية: لا تغتروا بكرم الله مع شرككم ومعاصيكم، فلستم على الحق كما تزعمون، بل لا تزالون تكذبون بالبعث بعد الموت للحساب، وتكذبون بدين الإسلام!

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ ١٠ أي: وإن عليكم - أيها الناس - ملائكة يكتبون ما يصدر منكم من أعمال ليحاسبكم الله عليها يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَنٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ ١٣ ﴿أَفَرَأَى كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ ١٤ [الإسراء: ١٣-١٤].

﴿كَرَامًا كَتِيبَيْنَ ۝١١﴾ أي: في حال كون الملائكة الذين يحفظون أعمالكم كراما على الله، كريمي الأخلاق لا يظلمونكم، كاتين لأعمالكم.

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ أي: يعلم الملائكة الموكلين بكتابة أعمالكم كل ما تفعلون من خير أو شر، فهم يكتبون جميع أعمالكم القولية والفعلية والقلبية، فالله يطلعهم على أعمالكم الظاهرة والباطنة ليكتبوها لكم وعليكم.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣﴾ أي: إن الذين أطاعوا الله بفعل أو امره واجتنب نواهيه، وأحسنوا إلى والديهم وسائر الناس وعموم الخلق؛ ففي نعيم الجنة.

﴿وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي حَيْمٍ ۝١٤﴾ أي: وإن الذين كفروا وعصوا الله فقصرُوا في حقوق الله وحقوق عباده ففي نار جهنم.

﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝١٥﴾ أي: يدخل الفجار نار جهنم يوم الحساب والجزاء، وهو يوم القيامة.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝١٦﴾ أي: وما الكفار بخارجين أبدا من الجحيم، بل هم فيها خالدون أبدا. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَاعَدَ لَهُمْ سَعِيرًا ۝١٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٦﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٥].

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝١٧﴾ أي: وما عرَّفَكَ - أيها الإنسان - بحقيقة صفة القيامة وأهوالها؟!!

﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝١٨﴾ أي: ثم ما عرَّفَكَ - أيها الإنسان - بحقيقة صفة القيامة وأهوالها؟!!

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ أي: يوم القيامة لا تغني نفس عن نفس شيئاً بأن تدفع عنها شيئاً من العذاب أو تنفعها بخير، فكل إنسان يوم القيامة مشغول بنفسه. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَلَاتِهِ وَبَيْتِهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ أي: الملك والتصرف يوم القيامة لله وحده، فهو الذي يحاسب الخلائق، ويجازيهم على أعمالهم.

تدبر سورة المطففين

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ أي: عذابٌ شديد وهلاكٌ ثابتٌ يوم القيامة للذين يُنقصون شيئاً يسيراً من الكيل أو الوزن، ولا يؤدون حقوق الناس كاملة وافية. وفي هذه الآية تحذيرٌ من أكل أموال الناس بالباطل، فالعدلُ في معاملة الناس أمرٌ عظيم أكده الله في كتابه، وتوعد من طفف شيئاً يسيراً من حقوق الناس بالغش ونحوه بالعذاب الشديد، فكيف بالذي يظلم الناس بأخذ الأموال الكثيرة منهم بغير حق غصباً أو سرقة أو احتيالاً؟! فعذابه أشد.

﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾ أي: الذين إذا كالوا لأنفسهم حين يشترون من الناس يستوفون حقهم كاملاً بلا نقص.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ أي: وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم حين يبيعون لهم ما يكال أو يوزن ينقصونهم حقهم.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝٤﴾ أي: ألا يعلم أولئك المطففون في الكيل والميزان أنهم بعد موتهم مبعوثون من قبورهم ليوم القيامة العظيم الأحوال، فيحاسبهم الله ويجازيهم على ظلمهم الناس؟!

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٦ أي: يُبعث الناس من قبورهم أحياء قياماً لله رب العالمين، فيحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم. وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يعرُقُ الناسُ يومَ القيامةِ حتى يذهبَ عرقُهُم في الأرضِ سبعين ذراعاً، ويُلجمُهُم حتى يبلغَ آذانَهُم». وفي صحيح مسلم عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُدنى الشمسُ يومَ القيامةِ من الخلقِ، حتى تكونَ منهم كمقدارِ ميلٍ، فيكونُ الناسُ على قدر أعمالهم في العرقِ، فمنهم مَنْ يكونُ إلى كعبيه، ومنهم مَنْ يكونُ إلى ركبتيه، ومنهم مَنْ يكونُ إلى حَقْوِيهِ، ومنهم مَنْ يُلجمُهُ العرقُ إجمالاً».

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ ٧ أي: حقا إن كتاب أعمال الفجار من الكفار والمنافقين والفسقة في مكان ضيق في الأرض السابعة، ثم يكون مصيرهم جهنم. روى أحمد في مسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنهما في حديثه الطويل في قبض روح المؤمن والكافر، وفيه أن النبي ﷺ قال: «فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرْحاً».

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ ٨ أي: وما أدراك - أيها الإنسان - أي شيء سِجِّين الموضوع فيه كتاب أعمال الفجار؟! فهو غاية في الضيق والسُّفل والقبح.

﴿كِتَابٌ مَرْفُومٌ﴾ ٩ أي: الكتاب الذي في سِجِّين محفوظ في أعمال جميع الفجار بأسمائهم، فهو كتاب مكتوب لا يُمحى ولا يُبدل، ولا يزداد فيه أحد، ولا ينقص منه أحد. كما قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ ١٢

[يس: ١٢]. وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩]. فالله يعلم متقلب العباد في حياتهم، ويعلم مثواهم بعد موتهم، ويعلم كل شيء من الماضي والمستقبل بالتفصيل، ويعلم أهل الجنة وأهل النار من الأولين والآخرين، وكتب ذلك كله، فقد أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، سبحانه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿وَلَّيْلُ يَوْمِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آي: عذابٌ وهلاكٌ يوم القيامة في جهنم للمكذبين بالقرآن وبالبعث بعد الموت].

﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [آي: الذين يكذبون في الدنيا بالبعث والحساب يوم القيامة].

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [آي: وما يكذب بيوم القيامة إلا كل معتمد على حدود الله، ظالم للناس بلسانه ويده، كثير الآثام].

﴿إِذَا تَنَالَى عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [آي: إذا تُقرأ على الكافر آيات القرآن ليؤمن بها قال منكرا كونها من عند الله: هذه أكاذيب الأولين وخرافاتهم التي سطورها في كتبهم].

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [آي: ليس القرآن أساطير الأولين كما يزعم المكذبون بالقرآن، ولكن غطى على قلوبهم ما كانوا يعملون من الذنوب المتتابعة، حتى اسودت قلوبهم، فلم تعرف الحق مع وضوحه. كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا

عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةٌ أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ [الكهف: ٥٧]. فالذنوب لها آثار سيئة على القلوب، وإذا كثرت الذنوب وتتابعت يعمى القلبُ فيموت، فلا يعرف الحق من الباطل، كما في صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيَاضَاءٌ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَيْضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ، مُجَحِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ».

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ ﴿١٩﴾ أي: حقا إن المكذبين عن ربهم يوم القيامة لمحجوبون لا يرونه حين يراه المؤمنون، ولا يصل إليهم شيء من كرامته ورحمته. وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة، وإنما يُحْجَبُ عن رؤيته الكافرون، قال الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. ورؤية المؤمنين لله سبحانه هي رؤية من غير إدراك وإحاطة، فالله أعظم من أن يحيط به شيء، كما قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فالسماوات مثلا نراها ولا ندركها بأبصارنا لعظمها، وكذلك المؤمنون يرون الله العظيم من غير أن يدركوه بأبصارهم، فهو أكبر من كل شيء سبحانه وتعالى.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ أي: ثم إن المكذبين بالقرآن والبعث مع حرمانهم رؤية الله لداخلو نار جهنم يوم القيامة، فيحترقون فيها، ولا يخرجون منها أبدا.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: ثم تقول خزنة جهنم للكفار: هذا عذاب النار الذي كنتم في الدنيا تكذبون به، فذوقوه الآن في الآخرة.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ أي: حقا إن كتاب أعمال الأبرار في مكان عالٍ في السماء السابعة، ثم يكون مصيرهم الجنة. وفي الحديث المشهور عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «فيصعدون بروح المؤمن، فلا يمرون بها على ملاٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى يُنتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى».

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ أي: وما أدراك - أيها الإنسان - أي شيء عِلِّيُّونَ الموضوع فيه كتاب أعمال الأبرار؟! فهو غاية في السعة والعلو والحسن.

﴿كِتَابٌ مَرْفُوعٌ﴾ أي: الكتاب الذي في عِلِّيِّينَ محفوظة فيه أعمال الأبرار بأسمائهم، في كتاب مكتوب لا يُمحى ولا يُبدل، ولا يزداد فيه أحد، ولا ينقص منه أحد. وهذه الآية فيها إثبات القدر، فقد علم الله أهل الجنة وأهل النار، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، والقدر سر الله في خلقه، فيجب الإيمان به، ففيه إثبات

كمال علم الله سبحانه، ولا يجوز الاحتجاج بالقدر على الكفر والمعاصي أو على ترك الإيمان والعمل الصالح، فقد جعل الله لكل إنسان قدرة واختياراً، وأمرنا أن نعمل الخير، ونترك الشر.

﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (٢١) أي: يطلع على ما في الكتاب الذي في عليين الملائكة المقربون عند الله.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (٢٢) أي: إن الذين أطاعوا الله لفي نعيم الجنة الدائم.

﴿عَلَى الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ﴾ (٢٣) الأرائك جمع أريكة، وهي السرير الذي عليه قبة من ثياب رقيقة، فالمعنى: الأبرار متكئون على السرر المغطاة بالستائر، ينظرون إلى الحور العين، وينظرون إلى وجه الله الكريم، وإلى ما أعطاهم من النعيم. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكُهُونَ﴾ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْيَافِ مُتْكِوْنَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ [يس: ٥٥-٥٧].

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ (٢٤) أي: تعرف - أيها الناظر - في وجوه الأبرار أثر النعمة والسرور الظاهر، من البياض والحسن والنور.

﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ﴾ (٢٥) أي: يسقي خدم الجنة الأبرار من خمر صافية، مغطاة نظيفة لا كدر فيها. كما قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكُلِّسَ مِنْ مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصَدْعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴿١٩﴾ [الواقعة: ١٧-١٩].

﴿خَتَمَهُمْ مِسْكَ﴾ (٢٠) أي: آخر الخمر التي يشربها الأبرار مسك طيب الرائحة.

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ ٦٦ ﴿أي: وفي نعيم الجنة فليجتهد المتسابقون في طلبه بطاعة الله، وليسارعوا فيه حرصاً على الفوز به. كما قال تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ ٦٧ ﴿[الصفاء: ٦١].

﴿وَمَزْجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ ٦٧ ﴿أي: ومزاج خمر الجنة الصافي من عينٍ عاليةٍ اسمها تسنيم، ينزل شرابها من أعلى الجنة.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ ٦٨ ﴿أي: شراب تسنيم عينٌ جاريةٌ يرتوي بها المقربون السابقون الذين هم أعلى أهل الجنة درجة، فهي عندهم خالصة، وتمزج في شراب الأبرار الذين هم دونهم في الدرجة.

قال العلماء: تسنيم أعلى أشربة الجنة، اسمها مأخوذٌ من السنام، كسنام البعير الذي هو أعلى شيء فيه، فأخبر الله أن أهل الجنة متفاوتون في الدرجات، فالأبرار يشربون من التسنيم بمزجها في شراهم، والمقربون يشربون منها صرفاً بلا مزج. قال الله تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ ٦٩ ﴿[الإسراء: ٢١]. وقال سبحانه: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ ٧٠ ﴿فَأَصْحَبُ الْمُيْمَنَةِ مَا أَصْحَبُ الْمُيْمَنَةِ﴾ ٨١ ﴿وَأَصْحَبُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَبُ الْمَشْأَمَةِ﴾ ٨٢ ﴿وَالسَّادِقُونَ السَّادِقُونَ﴾ ٨٣ ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ٨٤ ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ ٨٥ ﴿[الواقعة: ٧-١٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ٨٦ ﴿أي: إن الذين كفروا واكتسبوا المعاصي كانوا في الدنيا يضحكون من المؤمنين استهزاء بهم.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ ٣١ أي: وإذا مر المؤمنون في طريقهم بالمجرمين يتغامز المجرمون بأعينهم احتقاراً لهم.

﴿وَإِذَا أُنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ أُنْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ ٣٢ أي: وإذا انصرف المجرمون من مجالسهم إلى أهلهم في بيوتهم انصرفوا ناعمين من غير شكر لله، معجبين بما هم عليه من الكفر والمعاصي، متفكهين عند نسائهم وأولادهم بدم المؤمنين.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ ٣٣ أي: وإذا رأى المجرمون المؤمنين قالوا: إن هؤلاء لضالون عن الحق، لانشغالهم بعبادة الله، وتركهم شهوات الدنيا، وتصديقهم بالبعث بعد الموت.

﴿وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ ٣٤ أي: ولم يوكل الله الكفار على المؤمنين ليحفظوا أعمالهم، وينشغلوا بمراقبتهم، ويحكموا عليهم بالضلال.

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ ٣٥ أي: ففي يوم القيامة يضحك المؤمنون من الكفار حين يرونهم يعذبون في جهنم، كما كان الكفار يضحكون منهم في الدنيا.

﴿عَلَى الْأَرْكَانِ يُنْظَرُونَ﴾ ٣٦ أي: المؤمنون في الجنة على السرر المغطاة ينظرون إلى الكافرين وهم يُعذبون في جهنم، وينظرون إلى وجه الله الكريم، وينظرون إلى ما أعطاهم في الجنة من النعيم العظيم.

﴿هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ أي: هل جوزي الكفار على ما كانوا يفعلون في الدنيا من الضحك والاستهزاء بالمؤمنين حين يعذبهم الله في النار؟
الجواب: نعم، ففي الآخرة يضحك المؤمنون من الكافرين، ويستهزئون بهم.

تدبر سورة الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝١﴾ أي: إذا السماء انفطرت يوم القيامة، وصارت شقوقا وأبوابا. كما قال تعالى: ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝١٦﴾ [الحاقة: ١٦]. وقال سبحانه: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۝١٩﴾ [النبا: ١٩]. وقال عز وجل: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفطرت ۝١﴾ [الانفطار: ١]. فالسما بناءً محكم، وليست السماء فضاءً كما يظن كثير من الناس، إنما الفضاء بين السماء والأرض، وهي سبع سماواتٍ شداد، والسماء الأولى هي السماء الدنيا التي تحيط بالأرض من جميع جهاتها، وجميع النجوم زينة لها، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۝٣﴾ [المالك: ٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ ۝٥﴾ [المالك: ٥]، فالسما يوم القيامة تنشق وتنفطر كما أخبر الله في كتابه.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢﴾ أي: واستمعت السماء لأمر ربها وأطاعته في انشقاقها، وحُق لها أن تطيعه، فهو العظيم الذي قهر كل شيء.

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣﴾ أي: وإذا الأرض بسطها الله يوم القيامة، ودك جبالها، ومدّها حتى تسع أهل الموقف جميعاً من الأولين والآخرين. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ۝٤٨﴾ [إبراهيم: ٤٨]. وقال سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ

عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٧﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ ﴿٤﴾ أي: وألقت الأرض ما في بطنها من جميع الأموات، وتخلت عنهم، ولم تُبقِ منهم أحدا، لا كبيرا ولا صغيرا، ولا ذكرا ولا أنثى، ولا مسلما ولا كافرا. كما قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ﴿٢﴾ [الزلزلة: ٢].

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ ﴿٥﴾ أي: واستمعت الأرض لأمر ربها وأطاعته في تمددها وإخراج ما في بطنها، وحُق لها أن تطيعه، فهو العظيم الذي قهر كل شيء.

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَمَلَأَ بِهِ﴾ ﴿٦﴾ أي: يا أيها الإنسان إنك عاملٌ عملا تجتهد فيه من خير أو شر وتنتهي إلى ربك بعد موتك، فتلقى ربك، وتلقى أعمالك مكتوبة في كتابك، ويجازيك الله بالجنة أو النار، فأين المفر؟ فإلى الله المستقر. فهذا خطاب من الله لكل واحد منا، فأنت أيها الإنسان تسير مسرعا إلى ربك؛ لأن عمرك ينقضي بسرعة، وفي كل لحظة تقطع شيئا من عمرك القصير، وكلما طال عمرك اقترب أجلك، ثم تلاقي ربك وتلاقي عملك. كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ ﴿٤٢﴾ [النجم: ٤٢]. وقال سبحانه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٢٨﴾ [آل عمران: ٢٨].

﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿٧﴾ أي: فأما المؤمن الذي أعطي كتاب أعماله بيده اليمنى.

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ٨ أي: فسوف يحاسبه الله يوم القيامة حسابا سهلا، بأن تُعرض عليه سيئاته المكتوبة بلا مناقشة ولا إطالة في الحساب، ويغفر الله له ذنوبه ويتجاوز عنه؛ لأن خيره أكثر من شره، وحسناته أعظم من سيئاته. كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَرُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ [الأحقاف: ١٦]. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «مَنْ حُوسِبَ عَذَّبَ»، فقلت: أوليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ٨؟! فقال: «إنما ذلك العرض، ولكن مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ». وفي الصحيحين أيضا عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يُدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستتره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيُعطي كتابَ حسناته».

﴿وَيُنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ ٩ أي: ويرجع المؤمن الذي حاسبه الله حسابا يسيرا إلى أهله في الجنة من الحور العين وأقاربه المؤمنين من أهل الدنيا فرحان بمغفرة الله له، ونجاته من النار، وبما أعطاه الله من النعيم. كما قال تعالى: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣].

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَأَى ظَهْرَهُ﴾ ١٠ ﴿أَي: وأما الكافر الذي أُعطي كتاب أعماله بيده اليسرى من خلف ظهره. كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِي﴾ ٢٥﴾ [الحاقة: ٢٥].

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا بُرُورًا﴾ ١١ ﴿أَي: فسوف ينادي على نفسه بالهلاك والخسران، مما يرى في كتابه من السيئات.

﴿وَصَلَّى سَعِيرًا﴾ ١٢ ﴿أَي: ويدخل نار جهنم فيحترق فيها.

﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ ١٣ ﴿أَي: يُعَذِّبُ الكافر في جهنم لأنه كان في أهله في الدنيا مسرورا بالكفر والمعاصي واتباع هواه، وكان لا يفكر في عاقبة أعماله السيئة، ولا يخاف عذاب الآخرة.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ ١٤ ﴿أَي: إن هذا الكافر ظن في الدنيا أنه لن يرجع إلى ربه بعد موته ليحاسبه ويجازيه على أعماله. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالْسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾ ٣٢﴾ [الحاثية: ٣٢].

﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ ١٥ ﴿أَي: بلى ليعتثه الله حيا بعد موته، إن رب هذا الكافر كان به في الدنيا بصيرا منذ خلقه، لا يخفى عليه كفره ومعاصيه، وسيجازه على أعماله.

﴿فَلَا أَقْسَمُ بِالْشَّفَقِ﴾ ١٦ الشفق هو الحمرة التي تكون في السماء بعد غروب الشمس، ولا في قوله: ﴿فَلَا﴾ صلة للتأكيد، وليست نفيًا، فالمعنى: فأقسم بالحمرة التي تكون في الأفق بعد غروب الشمس.

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ ١٧ أي: وأقسم بالليل وما جمع من إنسان ودابة ونجم. ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ ١٨ أي: وأقسم بالقمر إذا تم نوره واستدار منتصف الشهر، في الليالي البيض، وهي ليلة ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة من كل شهر هجري.

﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ ١٩ أي: لتركن - أيها الناس - أحوالا مختلفة، حالا بعد حال، في خلقكم صغارا ثم شبابا ثم شيوخا، وفي أحوالكم المختلفة في الدنيا من صحة ومرض، وغنى وفقر، وسرور وحزن، وفي أحوالكم المتعددة في الآخرة، حيث تموتون ثم تُبعثون، وتلقون من شدائد القيامة أحوالا، ثم تُجازون بأعمالكم، ولا تبقون على حال واحدة أبدا، لا في الدنيا ولا في الآخرة. فأقسم الله بالشفق والقمر إذا اكتمل نوره والليل وما فيه على أن دوام الحال من المحال، فلا أحد يبقى على حال واحدة أبدا، فلا بد أن تتغير عليه الأحوال بأمر الله، وهذا يدل على كمال قدرة الله، وضعف المخلوق الذي لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا إلا بإذن الله. وما أحسن قول الشاعر:

ثمانية تجري على الناس كُلِّهِمْ = ولا بد للإنسان يلقى الثمانية
سرور وحزن واجتماع وفرقة = ويسر وعسر ثم سقم وعافيه

وتأمل حالك الآن، تجده غير ما كنت عليه قبل عشر سنين مثلاً، وبعد عشر سنين إن أحيأك الله لن تكون على هذه الحال التي أنت عليها الآن، وكذلك حال جميع الناس، فلا أحد يبقى على حال واحدة، سواء كان ملكاً أو رئيساً أو عزيزاً أو ذليلاً أو غنياً أو فقيراً أو مؤمناً أو كافراً، فسبحان الله الذي يدبر خلقه كما يشاء بقدرته وحكمته، ونسأل الله أن يصلح أحوالنا، وأن يعز المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ أي: فما يمنع الكافرين من الإيمان بالله وكتابه والله هو المتصرف في خلقه كيف يشاء؟!

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي: وما للكافرين إذا قرئ عليهم القرآن ليؤمنوا به لا يسجدون لله تعظيماً له، ولا يُصلُّون لله طاعة له، ولا يخضعون لأوامره ونواهيه؟!

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أي: بل الذين كفروا عادتهم المستمرة التكذيب بالقرآن، ولا يصدقون بالحق الذي جاء من عند الله.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي: والله أعلم بما يجمع الكافرون في صدورهم من التكذيب والكبر، وما يجمعون من الآثام الظاهرة والخفية، وسيجازيهم عليها.

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾ أي: فبشر الكافرين بعذابٍ موجهٍ في نار جهنم بسبب تكذيبهم بالقرآن.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: لكن الذين صدقوا بتوحيد الله وكتابه ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام، وأدوا الفرائض واجتنبوا المحرمات، لهم أجرٌ في الجنة دائمٌ غيرُ مقطوع.

تدبر سورة البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ١﴾ أي: أقسم بالسماء التي فيها النجوم العظيمة المنتظمة في سيرها، وفيها منازلُ سير الشمس والقمر. كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ٥١﴾ [الفرقان: ٦١].

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ٢﴾ أي: وأقسم بيوم القيامة الذي وعدت عبادي أن أبعثهم فيه؛ لأحاسبهم وأجازيهم على أعمالهم.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ٣﴾ قال أكثر المفسرين رحمهم الله: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، وهو تفسير صحيح، والظاهر العموم لكل شاهد، ولكل مشهود، فالمعنى: وأقسم بكل شاهد يشهد على غيره كيوم الجمعة يشهد بأعمال الناس فيه، وكالنبي محمد عليه الصلاة والسلام يشهد على أمته يوم القيامة، وأقسم بكل مشهود يحضره الناس ويشهدونه كيوم عرفة الذي يجتمع فيه الحجاج من كل فج عميق وتشهده أيضا الملائكة، وكيوم القيامة يحضره جميع الخلق.

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ٤﴾ أي: لعن الكفرة الذين حفروا في الأرض شقا عظيما مستطيلا كالخندق، وحرّقوا فيه المؤمنين والمؤمنات. وقد ذكر المفسرون والمؤرخون أن هذه قصة وقعت قبل بعثة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وهي أن ملكا كافرا كان في اليمن خد أخذودا للمسلمين الذي كانوا على شريعة عيسى

عليه الصلاة والسلام، وكانوا في نجران، فخيرهم بين الكفر أو الإحراق بالنار، فحرَّق من لم يكفر منهم في الأخدود.

﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ٥﴾ أي: النار ذات الحطب الكثير الذي كان في الأخدود مشتعلا.

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ٦﴾ أي: لُعِن الكفار حين كانوا قاعدين على حافة الأخدود، ينظرون إلى المؤمنين وهم يحترقون.

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعُلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ٧﴾ أي: وأولئك الكفار حضور عند الأخدود الذي يُحَرِّقون فيه المؤمنين الذين لم يرجعوا عن دينهم، ويشاهدون احتراقهم في النار بلا رحمة لهم.

﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٨﴾ أي: وما عاب الكفار على المؤمنين والمؤمنات شيئا إلا إيمانهم بالله القوي في انتقامه، القاهر لأعدائه، المحمود في صفاته وشرعه وقدره.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ٩﴾ أي: الله الذي له سلطان السماوات السبع والأرض وما فيهن من الخلق، فهو المتصرف وحده في عباده كيف يشاء.

﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١٠﴾ أي: والله على كل شيء من أفعال عباده وأقوالهم مطلعٌ ببصره وسمعه وعلمه، فلا يخفى عليه إحراق الكافرين للمؤمنين في الأخدود، وسيجازيهم على أعمالهم. والشهيد من أساء الله الحسنى، ومعناه:

الحاضر الذي يشاهد كل شيء، فلا يغيب بسمعه وبصره وعلمه، فهو مطلع على كل شيء، وهو أيضا الذي يشهد بالحق سبحانه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فَمَا يَسْتَوُونَ﴾ أي: إن الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات ليصدوهم عن دينهم ثم لم يتب أولئك الكفار مما فعلوا بالمؤمنين والمؤمنات فلهم عذاب جهنم في الآخرة، ولهم عذاب الحريق في البرزخ. وهذه الآية تدل على إثبات عذاب القبر، وقد أشار إلى ذلك ابن عاشور رحمه الله في تفسيره، فعذاب جهنم في الآخرة، وعذاب الحريق في البرزخ، فالأصل الفرق بين العذابين المذكورين، وبدأ في الآية بعذاب جهنم لأنه أشد وأبقى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: إن الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة لهم بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار.

﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ أي: دخول المؤمنين الجنة هو الفوز العظيم الذي لا فوز أعظم منه، وإن قُتلوا وعُذبوا في الدنيا، فهم الفائزون في الآخرة، والذين قتلوهم وعذبوهم هم الخاسرون.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ أي: إن انتقام ربك من الكفرة والظلمة لقوي عظيم.

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾ ١٣ أي: إن الله وحده يُبدئ جميع المخلوقات من العدم ثم بعد موتها يُعيدُها بقدرته خلقاً جديداً يوم القيامة. كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ١١ [الروم: ١١].

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ ١٤ أي: وهو الغفور للتائبين، المحبُّ عباده الصالحين.
﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ ١٥ أي: الله صاحب العرش، المجيد أي: الكريم العظيم، الواسع الصفات سبحانه.

﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ١٦ أي: الله فعَّالٌ في خلقه ما يشاء، لا يمنعه مانع من فعل ما يشاء، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ ١٧ أي: هل سمعتَ - أيها الإنسان - خبرَ الجنود الذين بطش الله بهم فأهلكهم لكفرهم؟

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ ١٨ أي: فرعون وقومه الذين كذبوا نبيهم موسى، وأمة ثمود الذين كذبوا نبيهم صالحاً.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ ١٩ أي: بل الذين كفروا من اليهود والنصارى والمجوس والمشركين عادتهم المستمرة التَّكْذِيبُ بالقرآن، ولا يصدقون بالحق الذي جاء من عند الله.

﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ ٢٠ أي: والله مَطَّلَعٌ على أعمال الكافرين، وسيجازيهم عليها، وهو قادرٌ على عذابهم في الدنيا والآخرة. والمحيط من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه، وأحاط بكل شيء علماً.

وفي هذه السورة عشرة أسماء من الأسماء الحسنی: الله الرحمن الرحيم العزيز الحميد الشهيد الغفور الودود المجيد المحيط.

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١١﴾﴾ أي: ليس القرآن شعرا ولا سحرا ولا كلام بشر كما يزعم الكافرون، بل هو قرآنٌ مجيدٌ أي: كريم، عظيم القدر في ألفاظه ومعانيه وهداياته، كامل الصفات، كثير البركات.

﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿١٢﴾﴾ أي: القرآن الكريم مكتوبٌ في لوح محفوظ من التغير ومن وصول الشياطين إليه، فهو سالم من الزيادة والنقصان، والتحريف والتبديل.

تدبر سورة الطارق

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١﴾ أي: أقسم بالسماء وأقسم بالنجوم التي تظهر ليلاً، وتختفي نهاراً.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢﴾ يعني: وأي شيء أدراك - أيها الإنسان - ما الطارق الذي عظّمته بالقسم به؟!

﴿النَّجْمِ الثَّاقِبِ ۝٣﴾ أي: الطارق هو النجم المضيء. والمراد بالنجم جنس النجوم لا نجم معين.

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾ أي: ما من نفس إنسانٍ مكلفٍ إلا عليه ملائكةٌ حفظةٌ يكتبون أعماله خيراً وشرها. كما قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَفَّى الْمَلَائِكَةُ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ [ق: ١٧-١٨]. وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠﴾ كَرَامًا كَتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ أي: فليُنظر الإنسان متفكراً من أي شيء خلقه الله؟ فالذي ابتدأ خلقه من نطفةٍ منيٍّ قادرٌ على بعثه بعد موته.

﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ ﴿٦﴾ أي: خلق الله الإنسان من المني الضعيف الذي يتدفق وينصب في رحم المرأة. كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ ﴿٤٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴿النجم: ٤٥-٤٦﴾.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ ﴿٧﴾ الصلب هو عمود الظهر، والترائب هي عظام الصدر، والمعنى: يخرج المني الذي خلق الله منه الإنسان من بين عمود ظهر الرجل وعظام صدره. وقال بعض المفسرين: المراد: من بين صلب الرجل، وترائب المرأة، والله أعلم.

﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ ﴿٨﴾ أي: إن الله على رجوع الإنسان حيا بعد موته لقادر.

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ ﴿٩﴾ أي: إن الله يرجع الإنسان حيا بعد موته يوم تُختبر سراير الناس، فيظهر ما كانوا يخفونه في قلوبهم من خير وشر، ويجازون على ما يستحقونه من الثواب والعقاب. كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ [العاديات: ٩-١٠].

﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ ﴿١٠﴾ أي: فما للإنسان يوم القيامة قوة يتصر بها بنفسه من عذاب الله، ولا ناصر له من غيره ينصره ويخلصه من عذاب الله، فلا يُنقذ الإنسان نفسه يوم القيامة من عذاب الله، ولا يُنقذه غيره إلا أن يرحمه الله. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ ﴿١٩﴾ [الانفطار: ١٩].

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ ﴿١١﴾ أي: أقسم بالسماء التي ترجع بالمطر كل عام.

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ ١٢ أي: وأقسم بالأرض التي تشقق بالنبات. كما قال تعالى: ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ ١٥ ﴿ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ ١٦ [عبس: ٢٥-٢٦].

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ﴾ ١٣ أي: إن القرآن لقول حق، وهو يفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه، أقسم الله بالسماء والأرض على أن القرآن كتابٌ هدايةٌ وحكم. كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ ١٤ أي: وليس القرآن باللعب والباطل، بل كله جدٌ، أخباره صادقة، وأحكامه عادلة.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ١٥ أي: إن الكافرين يكيدون بالإسلام والمسلمين كيدا عظيما بأقوالهم وأفعالهم ومخططاتهم؛ ليصدوا الناس عن اتباع الحق، ويلحقوا الضرر بالمسلمين في دينهم ودنياهم.

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ ١٦ أي: وأنا أكيد كيدا عظيما بالكافرين، بأمهاتهم واستدراجهم بالنعم حتى أهلكهم وهم على كفرهم ومعاصيهم، وأظهر الحق على الباطل ولو بعد حين. فإذا حقق المسلمون الإيمان، واعتصموا بكتاب الله، وأطاعوا الله ورسوله، فإن الله يحفظهم من كيد الكافرين، وينصرهم على أعدائهم، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٧ [الروم: ٤٧]. وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَأَيُضْرِكُنَّ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ١٨ [آل عمران: ١٢٠]. أما إذا ضيع المسلمون شرع الله، ولم يتبعوا كتاب الله

ولا سنة رسوله، فإن الله يخذلهم، ولا يدفع عنهم كيد الكافرين، قال الله تعالى:
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ
كَبِيرٌ ۝٧٣﴾ [الأنفال: ٧٣]. وقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ
تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النور: ٦٣].

﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُويًا ۝١٧﴾ أي: فانتظر انتقام الله من الكافرين،
ولا تسأل الله أن يعجل عقوبتهم؛ فإنه واقع بهم لا محالة في الوقت الذي قدره الله،
أهملهم زمنا قليلا إلى أن يأتيهم ما قدره الله عليهم من موتٍ لا يفلحون بعده أبدا
أو عذابٍ يخزيهم في الدنيا، ولا تستعجل هلاكهم، فالأمر لله سبحانه. كما قال
تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ۝٨٤﴾ [مريم: ٨٤]. وقال سبحانه:
﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٢٤﴾ [لقمان: ٢٤].

تدبر سورة الأعلى

هذه السورة كان النبي ﷺ يحب أن يقرأها كثيراً، فكان يقرأها كل ليلة في صلاة الوتر، وكان يقرأها في صلاة الجمعة والعيدين، فلتدبر ما فيها من المعاني العظيمة:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١) أي: نزه اسم ربك عن كل سوء، فإنه الخالق المالك المدبر كل شيء، المتصف بصفات الكمال، فاعبده وعظمه، واذكر اسمه الأعلى بقولك: سبحان ربي الأعلى.

والأمر للنبي ﷺ، ويدخل فيه أمته، فكل واحد منا مأمور أن يسبح الله، والتسبيح: هو التنزيه عن النقائص، فيجب أن ننزه الله عما يصفه المشركون والجاهلون من الولد والصاحبة والشريك والنقص، كما قال الله: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) [الصفات: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٤٠) [الروم: ٤٠]، وحين يذكر الله بعض ما يصفه الجاهلون في كتابه يسبح نفسه، كقوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ﴾ [البقرة: ١١٦].

﴿الَّذِي خَلَقَ فَتَوَصَّى﴾ (٢) أي: الذي خلق كل شيء من العدم فأتقن خلقه، وجعله في أحسن هيئة تناسبه.

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ ٢ أي: والذي قَدَّرَ مقادير الخلائق في ذواتها وصفاتها وأحوالها ومآلها، فهدى كل مخلوق لمصالحه، ويسَّرَ له تحصيلَ رزقه وتدبيرَ مسكنه، وكيفية منكحه وتغذية صغاره. كما قال تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَثَبَّرَهُ﴾ هَدَىٰ ﴿٣﴾ [طه: ٥٠]. والمتفكر في الحيوانات والطيور بمختلف أنواعها يجد العجبَ العجاب في هداية الله لها في جميع مصالحها، ولو تكلمنا عن هداية الله للنحل أو النمل لطال الكلام بنا، فتكفي الإشارة عن الإطالة.

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾ ٤ أي: والذي أخرج من الأرض بقدرته أنواع النبات والحشيش الذي ترعاه الأنعام.

﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ ٥ أي: فجعل الله ذلك المرعى يابساً مسوداً بعد أن كان أخضر رطباً.

﴿سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ﴾ ٦ هذه بشارة خاصة للنبي ﷺ، أي: سنُحَفِّظُكَ - أيها الرسول - القرآن، فلا تنساه بعد أن تسمعه من جبريل عليه السلام. وهذه من أعظم معجزات النبي، فقد كان يقرأ عليه جبريل ما يُنزله الله عليه من الوحي، وهو أُمِّيٌّ لا يكتب ولا يقرأ، فيحفظه حفظاً متقناً، ويبقى محفوظاً في صدره لا ينساه أبداً، مع كونه لا يرجع إلى كتابٍ مكتوبٍ ليراجع ما حفظه!

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ٧ يعني: إلا ما شاء الله أن يُنسيك - أيها الرسول - من آيات القرآن التي ينسخها الله لحكمةٍ بالغة. كما قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]. فبعض الآيات والأحكام كانت ثابتة في أول الإسلام، ثم نسخها الله وأتى بخير منها أو مثلاً، مثل استقبال بيت

المقدس في الصلاة، نسخه الله بالأمر باستقبال المسجد الحرام. فوعد الله رسوله أنه لا ينسى ما يُحفظه من القرآن إلا ما شاء الله أن ينسخه ويأتي بخير منه أو مثله.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ ٧ أي: إن الله يعلم ما يُظهره الخلق من الأفعال والأقوال، وما يُخفونه من أعمالهم، وما يسرونه في صدورهم. ومن ذلك أن الله يعلم ما يصلح عباده، فشرع لهم ما يصلحهم في دينهم ودنياهم.

﴿وَلَيْسَ لَكَ لِلْإِسْرَى﴾ ٨ أي: ونسهل لك - أيها الرسول - عمل الخير والدعوة إليه، ونجعل لك شريعة سهلة لا ضيق فيها أبدا. كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. فالنبي ﷺ بعثه الله بالحنيفية السمحة، فالدين يسر، ولكن كثيرا من الناس يوقعون أنفسهم أو غيرهم في الضيق والخرج بمخالفة شرع الله، وترك الاستقامة كما أمرهم الله، فمنهم من يغلو ويتنطع، ومنهم من يجفو ويتميع، ودين الله وسط بين الغالي فيه، والجاافي عنه.

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ ٩ أي: فعظ جميع الناس مُسلمهم وكافرهم بكتاب الله، وبيّن لهم عظمة الله، وخوفهم عذابه، إن نفعت الموعظة بعض من يسمعها. كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ ٤٥ [ق: ٤٥]. وقال سبحانه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٥٥ [الذاريات: ٥٥]. فقد أمر الله بتذكير كل أحد، فمن انتفع كان تذكره تاما نافعا، وإلا قامت عليه الحجة، وربما انتفع بالتذكير بعد مدة، أو انتفع بها غيره، وبعد أن يكرر الداعي إلى الله الذكرى تكريرا تقوم به

الحجة يكون مأمورا بالتذكير عند ظن الفائدة، فمن علم أنه مصرٌّ على الكفر أو المعصية، فلا يجبُ عليه تكرير الذكرى له دائما. فلا بد أولا من تذكير جميع الناس بقدر الاستطاعة، ولا بد من نشر العلم والدعوة إلى الله وبذل النصيحة للجميع، وهذا من الأخذ بالعزيمة، سواء انتفع الناس أو لم ينتفعوا، ثم إن غلب على ظن العالم أو الداعية أن بعض الناس لا ينتفعون بالموعظة، ولا يستفيدون من العلم، فله أن يترك دعوتهم وتعليمهم أخذا بالرخصة.

﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى ۝١٠﴾ أي: سيتعظ من يخاف الله، ويعلم عظمتَه، ويخاف عذابه في الدنيا والآخرة.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝١١﴾ أي: ولا ينتفع بالموعظة ويبعدُ عنها الكافر الأشقى.

﴿الَّذِي يَصِلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۝١٢﴾ أي: الذي يدخل نار جهنم العظمى. كما قال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝١٢ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٣﴾ [الليل: ١٤-١٥].

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝١٤﴾ أي: ثم لا يموت الكافر في جهنم فيستريح من عذابها، ولا يحيا حياة تنفعه. كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۝٥٦﴾ [النساء: ٥٦].

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝١٥﴾ أي: قد فاز بالنجاة من النار والخلود في الجنة من تطهر من الكفر والمعاصي والأخلاق السيئة، فآمن ووحد الله، وعمل الأعمال الصالحة التي منها ذكر الله والصلاة والزكاة. كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ

لِلزَّكَاةِ فَاعْلَوْنَ ﴿٤﴾ [المؤمنون: ١-٤]. وقال سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾﴾ [الشمس: ٧-٩]. روى مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها».

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾﴾ أي: وذكر اسم الله بتسبيحه وتحميده وتهليله وتكبيره واستغفاره، ودعاه وحده، فصلى الصلوات الخمس والنوافل مخلصا لله تعالى.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ أي: بل تُقدِّمون - أيها الناس - متاع الحياة الدنيا على ثواب الآخرة، وتهتمون بأمور دنياكم أكثر من اهتمامكم بأمور دينكم إلا من رحم الله. كما قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤]. قال ابن مسعود رضي الله عنه: (آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة؛ لأننا رأينا زينتها وطعامها وشرابها، وغابت عنا الآخرة، فاخترنا العاجل على الآجل).

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾﴾ أي: وثواب الله في الجنة أفضل لكم من متاع الدنيا القليل، وأدوم لكم من الدنيا الفانية، فنعيم الجنة كامل لا نقص فيه، أبدي لا ينتهي. كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الفصص: ٢٠]. روى مسلم عن المستورد بن

شَدَادٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَاللَّهُ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إصْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمِثْلِ تَرْجِعَ؟!».

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾ الإشارة في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ إلى الآيات الأربع الأخيرة، أي: إن ما أخبرتكم في هذه السورة من فلاح من زكى نفسه، وذكر اسم ربه فصلى، وإيثار الناس الدنيا على الآخرة، وأن الجنة خير وأبقى؛ مذكور بمعناه في الكتب السابقة المنزلة قبل القرآن، في الصحف المنزلة على إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام.

تدبر سورة الغاشية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١﴾ الخطاب لكل إنسان، أي: هل وصلك خبرُ القيامة التي تغشى الناسَ والكونَ بأهوالها؟! فمن أسماء يوم القيامة الغاشية، عظمه الله وحذره عباده، ومن أسماء يوم القيامة أيضا: يومُ التلاق، ويومُ الخروج، ويوم التناد، ويوم الدين، واليوم الحق، والطامة الكبرى، والصاخة، والآفة، والحاقة، والقارعة.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِعَةٌ ۝٢﴾ أي: وجوه الكافرين يوم القيامة ذليلة، متغيرة اللون من شدة العذاب والخوف.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ في هذه الآية ثلاثة أقوالٍ للعلماء كلها صحيحة:

القول الأول: عاملةٌ تابعةٌ بالعذاب يوم القيامة، فيُكَلَّفون ما لا يُطيقون، ويُعَذَّبون في النار عذابا شديدا لا يخفف عنهم، فهم يسحبون في النار، ويأكلون الزقوم، ويشربون الحميم، وغير ذلك من أنواع العذاب الأليم.

القول الثاني: عاملةٌ تابعةٌ في الدنيا بالعبادات الباطلة كعباد النصارى وغيرهم ممن يعبدون الله بما لم يشرعه، فهم يتعبون أنفسهم بعبادات لا يقبلها الله، ويكون مصيرهم في الآخرة نار جهنم.

القول الثالث: عاملةٌ تابعةٌ بأمور الدنيا من جمع الأموال، وفعل المعاصي والشهوات بكد وتعب، ثم في الآخرة تصلى نار جهنم الحامية، فلا تنفعهم أموالهم يوم القيامة، وتذهب عنهم تلك اللذات المحرمة، ويبقى عليهم عذابها في الآخرة. فهذه ثلاثة معان كلها صحيحة، وقد دلت عليها نصوص كثيرة:

قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود: ١٥-١٦]. وقال سبحانه: ﴿وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣]. وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥]. وقال تبارك وتعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾

[غافر: ٧١-٧٢]. وفي الصحيحين عن سعيد بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من أخذ شبرا من الأرض ظلما، فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين». وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من

صاحب إبل، ولا بقر، ولا غنم، لا يؤدي حقها، إلا أقعد لها يوم القيامة بقاع
قرقر، تطؤه ذات الظلف بظلفها، وتنطحه ذات القرن بقرنها». وفي صحيح
البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ قال:
(هم النصارى).

فمعنى الآية: عاملة تابعة في الدنيا بالمعاصي واتباع الشهوات، أو بالعبادات
الباطلة، وعاملة تابعة في الآخرة بالعذاب الشديد في المحشر ثم يدخلها الله نارا
حامية.

﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَاطِيَةٍ﴾ أي: يُسقى الكفار في جهنم من عين ماء بلغت
الغاية في شدة الحرارة والغليان. كما قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾
﴿١٥﴾ [محمد: ١٥].

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ أي: ليس للكفار طعام في جهنم إلا شوكا
يابسا ساما. قال المفسرون: الضريع شوك سام يابس، وأهل النار لهم أنواع من
الطعام يعذبون بأكله، ففي وقت لا يأكلون إلا الضريع، وفي وقت لا يأكلون إلا
الغسلين، وفي وقت لا يأكلون إلا الزقوم.

﴿لَا يَسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ أي: لا يسمن الضريع بدن من يأكله من أهل
النار، ولا يدفع عنه شيئا من ألم الجوع.

﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ أي: وجوه المؤمنين يوم القيامة فيها أثر النعمة
والسرور.

﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ۝١﴾ أي: لما عملته في الدنيا من الأعمال الصالحة راضية، حين وجدت ثوابه العظيم في الجنة.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٢﴾ أي: في بستانٍ عالٍ المكان والقدر، مرتفع القصور والغرف.

﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ۝١٣﴾ أي: لا تسمع في الجنة أي كلمة لغوٍ لا فائدة في سماعها، من الباطل والكذب والسب وغير ذلك.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٤﴾ أي: في الجنة عيونٌ متدفقةٌ من الماء وأنواع الأشربة. كما قال تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۝١٥﴾ أي: في الجنة أسرةٌ عاليةٌ القدر في حسن فراشها ولينه، وفي ارتفاع محلها؛ ليرى المؤمنُ الجالسُ عليها ما حوله من النعيم العظيم.

﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۝١٦﴾ أي: وفي الجنة أكوابٌ ممتلئةٌ بأنواع الأشربة، موضوعةٌ في أماكنهم، ومعدةٌ على حافة الأنهار الجارية لمن يشتهي الشرب بها.

﴿وَمَنَاقِبُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٧﴾ أي: وفي الجنة وسائلٌ مرتبةٌ أحسنُ ترتيب، كلٌ وسادةٍ بجانب الأخرى في صفٍّ واحد، معدةٌ للجلوس والالتكأ عليها.

﴿وَزَرَائِبُ مَبْنُوتَةٌ ۝١٨﴾ أي: وفي الجنة فُرُشٌ كثيرةٌ كاملةٌ الحسن، مبسوطةٌ ومفرقةٌ في المجالس؛ للزينة والجلوس عليها.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (٧) أي: أفلا ينظر الناس متفكرين إلى الجمال كيف خلقها الله؛ ليستدلوا بخلقها العجيب وأحوالها الغريبة على كمال قدرة الله وحكمته، فيؤمنوا بالبعث بعد الموت، ويوحّدوا الله سبحانه؟! والإبل تتميز عن غيرها من الحيوانات بأشياء كثيرة، منها: أنها تُقتنى لمنافع كثيرة لا تجتمع في غيرها، فتُقتنى ليؤكل لحمها، وليُشرب لبنها، ولتحمّل الإنسان في أسفاره، ولتحمّل أمتعته في سفره وحضره، وفيها زينةٌ وجمالٌ وغنى لأصحابها. ومنها: أنها مع قوتها تنقاد للإنسان ولو كان صبيًا، ومنها: أنها يُحمّل عليها وهي باركةٌ ثم تقوم بحملها الثقيل، ومنها: أنها تأكل الشوك ولا يضرّها، ومنها: أنها تتحمّل العطش والسير في الرمال، ومنها: أنها حين تمشي تُقدّم يدها ورجلها اليمنى في وقتٍ واحد، ثم تقدم يدها ورجلها اليسرى في وقت واحد، بخلاف جميع الحيوانات التي تمشي بتقديم يدها اليمنى ورجلها اليسرى، ثم يدها اليسرى ورجلها اليمنى، وفي الإبل أشياء كثيرةٌ عجيبةٌ.

﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (٨) أي: وألا ينظر الناس متفكرين إلى السماء كيف رفعها الله فوق الأرض بمسافةٍ عظيمة، ورفع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم بلا عمدٍ بقدرته؟! فالسمااء الدنيا تحيط بالكرة الأرضية من جميع جهاتها، فأينما كنت في الأرض فهي فوقك، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ (٩) [ق:٦] أي: ليس فيها شقوق ولا عيوب.

﴿وَالِ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩﴾ أي: وألا ينظر الناس متفكرين إلى الجبال العظيمة كيف نصبها الله، وجعلها راسخة لا تزول عن أماكنها بقدرته؟!

﴿وَالِ الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾ أي: وألا ينظر الناس متفكرين إلى الأرض كيف بسطها الله ووسّعها، وسهّل منافعها؛ ليستقر الخلق عليها، ويتمكنَ الناسُ من السير والبناء عليها، والحفر فيها، وحرثها وغرسها؟! كما قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ۝٢١﴾ [ق:٧]. ولا ينافي جعلُ الأرضِ مسطحةً كونها كروية، فالأرض سطوحها واسعٌ ليستقر عليها الخلق ويتنفعوا بها، فلو كانت كلها صخوراً وجبالاً فلن يتمكن الناس من الانتفاع بها، فمن رحمة الله أن ذللها لعباده، وسطحها بقدرته، وقد ذكر غير واحد من علماء المسلمين القدامى أن الأرض كروية كالعلامة ابن حزم، ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية الاتفاق على أن الأرض كروية الشكل.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۝٢٢﴾ أي: فعِظْ - أيها الرسول - جميع الناس بالقرآن، وخوفهم عذاب الله، إنما أنت واعظ، بعثك الله لدعوة الناس إلى الله. كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ۝٢٣﴾ [ق:٤٥]. وأمر الله لرسوله أمرٌ لأُمته، فعلى المسلم أن يعظ وينصح من يستطيع من الناس، ولو أهله وأصدقاءه، وأن يبلغهم ولو آية من كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢٤﴾ [الذاريات:٥٥].

﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ ٢٢ ﴿أي: لست على الناس بمتسلطٍ تجبرهم على الإيمان والعمل الصالح، إنما عليك التذكير والبلاغ، وحسابهم على الله. كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ ٢٣ ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ ٢٤ ﴿أي: لكن من أعرض عن طاعة الله، وكفر بالحق الذي جاء من عند الله، فيعذبه الله أشدَّ العذاب في جهنم. كما قال تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ ٢٥ ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ٢٦ ﴿[القيامة: ٣١-٣٢]. وقال سبحانه: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ ٢٧ ﴿[طه: ١٢٧].

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ ٢٨ ﴿أي: إن إلينا مرجع الناس بعد موتهم. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ ٢٩ ﴿أي: ثم إن علينا أن نحاسب الناس ونجازيهم على أعمالهم.

تدبر سورة الفجر

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالْفَجْرِ ١﴾ أي: أقسم بالصبح الذي يأتي كل يوم من مشرق الشمس، وهو وقت صلاة الفجر.

كما قال تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ٣٤﴾ [المدثر: ٣٤].

﴿وَلَيْلٍ عَشْرِ ٢﴾ في تفسير الليالي العشر قولان مشهوران للمفسرين:

القول الأول: أنها العشر الأول من ذي الحجة، والقول الثاني: أنها العشر الأواخر من رمضان، وكلا القولين صحيح، وأكثر المفسرين على أن المعنى: وأقسم بالليالي العشر الأول من شهر ذي الحجة.

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «ما العمل الصالح في أيام أفضل منها في هذه» - يعني في أيام العشر من ذي الحجة.

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣﴾ أي: وأقسم بالشفع وهو اليوم العاشر من ذي الحجة، وأقسم بالوتر وهو اليوم التاسع من ذي الحجة، وأقسم بكل شفع ووتر، ويدخل في ذلك الصلاة الشفع التي هي ركعتان أو أربع، والصلاة الوتر التي هي ثلاث ركعات أو ركعة.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ ۝٤﴾ أي: وأقسم بالليل إذا انقضى شيئاً فشيئاً حتى يذهب كله.

كما قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ۝٣٣ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۝٣٤﴾ [المدر: ٣٣-٣٤].

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥﴾ أي: هل في قسم الله بالفجر وليالٍ عشرٍ والشفع والوتر والليل إذا يسر كفايةً لذي عقل، فيتفكر في عظمة ما أقسم الله به، ويستدل بهذه الأشياء على توحيد الله وكمال قدرته؟!

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾ الخطاب عام، أي: ألم تعلم - أيها الإنسان - كيف انتقم الله من أمة عاد؟

﴿إِرمَ ذَاتَ الْعِمَادِ ۝٧﴾ أي: أمة عاد التي يرجع نسبها إلى جدها إرم بن سام بن نوح، وكانوا أصحاب أبنية مرتفعة بالأعمدة، وكانوا طوال الأجسام جداً.

﴿أَلَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ ۝٨﴾ أي: التي لم يخلق الله مثل عادٍ في جميع الأرض، في عظم الأجسام، وطول القامة، وقوة الأبدان.

﴿وَنُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ ۝٩﴾ أي: وألم تعلم - أيها الإنسان - كيف انتقم الله من أمة ثمود، الذين قطعوا الجبال والصخور العظيمة ونحتوها بيوتاً في الأودية؟

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠﴾ أي: وألم تعلم - أيها الإنسان - كيف انتقم الله من فرعون صاحب الجنود الذين قوّوا أمره، وثبتوا ملكه؟ كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨﴾ [البروج: ١٧-١٨].

﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ﴾ أي: عادٌ وثمودٌ وفرعونٌ وجنودُه جاوزوا الحد في الكفر والمعاصي وظلم الناس.

﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ أي: فأكثرُوا الفساد في الأرض بالكفر والمعاصي والظلم.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ أي: فأنزل الله على عادٍ وثمودَ وفرعونَ وقومِه عذابه الشديد الذي فجأهم، وأحاط بهم بسرعة حتى هلكوا بأجمعهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبَالْمُرْصَادِ﴾ أي: إن ربك - أيها الإنسان - يراقب أعمال الظالمين، يمهلهم قليلا ثم يجازيهم على أعمالهم بإدخالهم النار.

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ أي: فأما الإنسان إذا اختبره ربه بالغنَى فأكرمه بالمال ونعمه بسعة الرزق والصحة فيقول مفتخرا: ربي أكرمني بكثرة مالي؛ لأنني مستحقُّ لإكرامه، ولا يشكر الله على نعمه.

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْلَنِ﴾ أي: وأما الإنسان إذا اختبره الله بالفقر فضيق عليه رزقه فيقول متضجرا: ربي أذلني بقلة مالي، ولا يصبر على الفقر، ولا يشكر الله على ما أعطاه من صحة وغيرها من النعم الظاهرة والباطنة.

﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما يظن الإنسان الجاهلُ أني أغنيه لكرامته عندي، وأفقره لهوانه عندي، بل أغني من أشياء ولو كان كافرا، وأفقر من أشياء ولو كان مؤمنا، ابتلاءً مني لعبادي بالغنى والفقر.

فالله يبتلي من يشاء بالغنى ليتبين هل يشكرُ أو لا يشكر، ويبتلي من يشاء بالفقر ليتبين هل يصبرُ أو لا يصبر. كما قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]. والكريم عند الله هو التقي، سواء كان غنيا أو فقيرا، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيَّمان إلا من يحب).

﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (٧) أي: بل أنتم - أيها الناس - لا تكرمون اليتيم، فلا تُعطونه حقه من الميراث والصدقة وحسن المعاملة، وتهينونه مع أن الله قد وصاكم بالإحسان إليه.

﴿وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ (١٨) أي: ولا يحض بعضكم بعضا - أيها الناس - على إطعام المساكين، ولا ترحمونهم كما أمركم الله.

﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ (١٩) أي: وتأكلون الميراث الذي يخلفه الميت أكلا شديدا من أي جهة حصل لكم، من حلال أو حرام، لا تتركون منه شيئا، وتأخذون ما قدرتم عليه من نصيب اليتامى والنساء والضعفاء.

﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ ١٠ أي: وتحبون المال حبا كثيرا، فتحرصون على جمعه من حلال وحرام، ولا تخرجون زكاته، ولا تتصدقون منه.

﴿كَلَّا﴾ أي: انتهوا عن ترك إكرام اليتامى، وعن عدم الحض على إطعام المساكين، وعن أكل الميراث الذي لا تستحقونه، وعن حب المال حبا جما.

﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ ١١ أي: إذا زلزل الله الأرض يوم القيامة زلزالا شديدا، فيهلك كل من عليها من الناس الأحياء واليوت والأشجار حتى الجبال. كما قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ ١٤ ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ ١٥ [الحاقة: ١٤-١٥].

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ٢٢ أي: وجاء الله يوم القيامة لحساب عباده كما يليق بجلاله، وجاءت الملائكة في صفوف كثيرة، منتظرين تنفيذ أمره في عباده.

﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ أي: ويؤتى يوم القيامة بنار جهنم، تقودها الملائكة بأمر الله؛ ليدخلها من كفر بالله وعصاه. وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (جاء بجهنم تقادُ بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يقودونها) رواه مسلم مرفوعا، والترمذي موقوفا.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ ٢٣ أي: يوم القيامة يتوب الإنسان من ذنوبه، ويتذكر جميع أعماله، ويتحسر على ما ضيع من الأعمال الصالحة، وكيف تنفعه التوبة وهي لا تُقبل يوم القيامة؟!

﴿يَقُولُ يَلَيَّتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ ٢٤ ﴿أي: يقول الإنسان المفرط في طاعة الله: يا ليتني قدمت في الدنيا أعمالاً صالحة لحياتي الأبدية في الآخرة. فالمستقبل الحقيقي هو في جنة الخلد، أما الدنيا فهي فانية، ومهما حصّل الإنسان في الدنيا من أموالٍ ومناصبٍ وجاهٍ وملذاتٍ فهي متاعٌ زائل، والآخرة خيرٌ وأبقى، فعلى العاقل أن يسعى لحياته الأبدية في جنة النعيم، وذلك الفوز العظيم.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ﴾ ٢٥ ﴿أي: في يوم القيامة لا يعذب أحدٌ في الدنيا مثل عذاب الله أهل النار، فلا أشدّ من عذاب الله. كما قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ ١٢٧ [طه: ١٢٧].

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ﴾ ٢٦ ﴿أي: ولا يُقيّد ويشد أحدٌ في الدنيا قيود المحبوسين مثل وثاق الله أهل النار بالسلاسل والأغلال. كما قال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِيَّ أَعْتَقَهُمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ ٧١ ﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ ٧٢ ﴿[غافر: ٧١-٧٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ٢٧ ﴿أي: تقول الملائكة للمؤمن عند قبض روحه: يا أيتها النفس المطمئنة بذكره وعبادته، المصدقة بما أخبر الله به عباده، الثابتة على الحق.

﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ ٢٨ ﴿أي: ارجعي إلى الله راضيةً بالله وثوابه، قد رضي الله عنك لإيمانك وأعمالك الصالحة.

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (٢٩) أي: يقول الله للمؤمن عند موته وعند بعثه يوم القيامة: فادخلي في جملة عبادي الصالحين، أهل الجنة. كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (٩) [العنكبوت: ٩].

﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (٣٠) أي: وادخلي جنتي مع عبادي الصالحين. كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (٦٩) [النساء: ٦٩].

تدبر سورة البلد

سورة البلد ذكر الله فيها حال الأغنياء المبذرين، والأغنياء المحسنين، وحث فيها الأغنياء على إنفاق أموالهم في عظام القرب التي لا تُستطاع إلا ببذل الأموال الكثيرة، فلتدبر هذه السورة العظيمة التي فيها موعظةٌ بليغة للأغنياء، وفيها هدايات قرآنية لكل من تدبرها:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝١﴾ أي: أقسم بهذا البلد العظيم القدر، وهو مكة المكرمة، و(لا) في قوله: ﴿لَا أَقْسِمُ﴾ صلةٌ للتأكيد، وليست نافية.

﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝٢﴾ أي: أقسم بمكة في حال كونك - أيها الرسول - مقيماً بها، فحلّول النبي ﷺ في مكة يزيدُها شرفاً إلى شرفها، وهذه السورة نزلت والنبي عليه الصلاة والسلام مقيم في مكة. وقال بعض المفسرين: المعنى: وأنت - أيها الرسول - يحلُّ لك القتال في مكة، فيكون في الآية بشارةٌ للنبي ﷺ بفتح مكة، ولم يحل له القتال يوم فتح مكة إلا ساعة من نهار.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ أي: وأقسم بكل والد وما ولد، ويدخل في هذا آدم عليه الصلاة والسلام وما تناسل منه من ولد.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ﴿١﴾ هذا هو جواب القسم، أي: لقد خلقنا الإنسان في تعب، يكابد أمورَ حياته ومعيشته، وهمومَ دنياه وآخرته. قال العلماء: كل إنسان يخرج من تعبٍ إلى تعبٍ، فلا أحدٌ يسلمُ من التعب في هذه الدنيا منذ خروجه من بطن أمه إلى وفاته، فيكابدُ ضغطةَ الخروج من بطن أمه، ثم يكابدُ قطعَ سُرَّتِهِ، ثم إذا قُمِطَ يكابد الضيق، ويكابد تعبَ الارتضاع، ثم يكابدُ ألمَ الحتان، ثم يكابد نباتَ الأسنان، ثم يكابد الفطام، ثم يكابد التعلم والدراسة، ثم يكابد أمر الزواج وتكاليفه، ثم يكابد شغلَ الأولاد، ويكابد بناء السكن وطلبَ الرزق الحلال، ولا يسلمُ في جميع حياته من الأوجاع والأمراض، والهموم والأحزان، وإن طال عمره أصابه الكبر والهرم، وعند موته يكابد سكراتِ الموت، فما دام الإنسان في هذه الدارِ فلا يسلمُ من الأكدار، سواء كان غنياً أو فقيراً، وبعد الموت يأتيه ما لا يخطر بباله، من ضيقِ القبور وظلمتها، وأهوالِ يومِ القيامة وشدها، فقد خلقنا الله في تعب بحكمته، وجعل الدنيا دار ابتلاء بمشيئته.

فيومٌ علينا ويومٌ لنا ... ويومٌ نساءً ويومٌ نسر

فنسأل الله أن يرزقنا الصبر على متاعب الدنيا ومصائبها، وأن يحسن ختامنا، وأن يرحمنا ويغفر لنا.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ لَّنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ ﴿٢﴾ أي: أيظن الإنسان الغني الكافر أن الله الأحد لن يقدر على تغيير أحواله، وبعثه بعد موته وعقوبته؟ فالأحد هو الله كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿١﴾ [الإخلاص: ١].

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ۖ﴾ أي: يقول الغني المبذر أمواله في الباطل وفي شهواته مفتخرا على غيره: أنفقت مالا كثيرا في قضاء شهواتي وملذاتي! فبدلا من أن يخفف على الناس متاعب الدنيا بالمال الذي رزقه الله، فإنه يبذره فيما لا يرضي الله، وهو بهذا من إخوان الشياطين، كما قال سبحانه: ﴿وَأَتِذَا الْقُرُوبِ حَقَّهُ ۖ وَالْمُسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۚ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۚ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۖ﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧].

﴿يَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۖ﴾ أي: أيظن المفتخر بإنفاق أمواله في المعاصي أن الله الذي من أسمائه الأحد لم يره، ولن يحاسبه على ما أنفق من أمواله في الباطل؟! روى ابن أبي حاتم عن الضحاك رحمه الله في قوله: ﴿يَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۖ﴾ قال: (الأحد: الله عز وجل).

ثم ذكر الله هذا الغني المبذر ببعض نعمه عليه فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۚ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۚ﴾

أي: ألم نخلق لهذا الغني عينين يبصر بهما، ولسانا يتكلم به، وشفتين يستعين بهما على النطق، وجمالا لوجهه؟

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۚ﴾ النجد هو الطريق في المكان المرتفع. أي: وبيننا للإنسان طريق الخير وطريق الشر بإرسال الرسل وإنزال الكتب. وهذه نعم عظيمة دنيوية ودينية لا تُقدَّر بثمن، والمقصود بذكرها تأنيب الغني المتكبر، فقد أعطاه الله هذه النعم فلم يقم بشكرها، بل استعان بعينيه على معصية الله، وتكلم

بلسانه وشفتيه بما يسخط الله، وترك اتباع طريق الحق، واختار طريق الكفر ومعصية الله بما أعطاه الله من الأموال، وكان عليه أن يحسن إلى الناس كما أحسن الله إليه، وأن يخفف عليهم متاعب الدنيا مما رزقه الله.

﴿فَلَا أَقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝١١﴾ أي: فلم يقتحم الغني العقبة الشديدة، ويتكلف صعودها والمشي عليها، وذلك بأن يجاهد نفسه ويخالف هواه بإنفاق الأموال الكثيرة في الصدقات العظيمة، شكر الله على نعمه الظاهرة والباطنة.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝١٢﴾ أي: وما أدراك - أيها الإنسان - أي شيء العقبة الشديدة التي عظمها الله وحث الأغنياء على اقتحامها بأموالهم؟! فالعقبة هي الطريق الصعبة التي لا يستطيع سلوكها وقطعها إلا الأغنياء أصحاب الأموال. ثم ذكر الله بعض الأمور الشاقة التي على الأغنياء أن ينفقوا أموالهم فيها بدلا من تبذيرها في الشهوات المحرمة، والملذات الفانية، فقال سبحانه:

﴿فَكُ رَقَبَةً ۝١٣﴾ أي: تخلص إنسان من العبودية والأسر. فمن الأمور الصعبة التي لا تُستطاع إلا ببذل الأموال الكثيرة: عتق العبيد، وهذا لا يكون إلا بشراء المملوك من سيده بالأموال الطائلة أو بالتعاون مع بعض الأغنياء على شراء العبد أو الأمة وإعتاقهما لوجه الله، ومن ذلك السعي في فكك الأسير المسلم عند الكفار، والمحبوس عند المسلمين. ثم ذكر الله مثالا آخر من الأمور الشاقة التي لا تستطاع إلا ببذل الأموال الكثيرة فقال سبحانه:

﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥﴾ أي: أو إطعام للمحتاجين في زمن مجاعة شديدة، قد قل فيها الطعام، فاشتره الغني الصالح

بأغلى الأثمان، وبذله للناس بالمجان، لا سيما أن يطعم طفلاً صغيراً لا أب له من أقاربه، أو مسكيناً لا صقاً بالتراب من شدة فقره، فيُطعم الطعامَ لوجه الله في تلك المجاعةِ الشديدة، للمحتاجين من أقاربه، وكل من كان من قومه فهو قريبه وإن كان يجمعهم نسب بعيد، وللمحتاجين من غير قومه وقرابته، فكلُّ معروفٍ صدقةٌ للقريب والبعيد، ومن أعظم الصدقات إطعامُ الطعام، سواء أطمعهم الطعام مطبوخاً أو أعطاهم الطعامَ من الحبوب واللحوم وغيرها ليطبخواه في بيوتهم، وخير الناس من أطمع الطعام، وقد حثنا الله على ذلك في آيات كثيرة. ومن اقتحام العقبةِ أيضاً: التنفيس بالمال عن مكروب، وإغاثةِ ملهوف، ونصرِ مظلوم، وقضاءِ دينٍ معسر، وعلاجِ مريض، وتزويجِ شابٍ، وبناءِ مسجدٍ أو إصلاحِ طريقٍ أو حفرِ بئرٍ، وغير ذلك من القربات العظيمة التي تنفق فيها الأموال الكثيرة.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ﴾ ﴿١٧﴾ أي: ثم كان المنفق ماله في فكِ الرقاب وإطعامِ الطعام من الذين صدَّقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، مخلصٌ لله في صدقاته، وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله، وعن معاصيه، وعلى أقداره المؤلمة، وأوصى بعضهم بعضاً بالرحمة باليتامى والمساكين والضعفاء وسائر الخلق حتى الحيوانات، وفي الحديث الصحيح: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». وفي هذا ثناءٌ على الأغنياء الذين يتعاونون على البر والتقوى، فهم يتواصون بالصبر؛ لأن الإنسان خلق في تعب ومشقة، فيحتاج إلى من يحثه على

الصبر على طاعة الله، ومن يحثه على الصبر عن الشهوات المحرمة التي تشتهيها نفسه الأماراة بالسوء، ويحثه على الصبر على أقدار الله المؤلمة، وأيضا هؤلاء الأغنياء الصالحون يتواصلون برحمة المساكين، فيحث بعضهم بعضا على ترك الاحتكار، وتخفيض الأسعار، وفعل الخير رحمة بالمساكين، فإن الإنسان خلق في تعب، وقلة المال تزيد المساكين تعباً إلى تعبهم، فهؤلاء الأغنياء يتواصلون بالتسهيل عليهم، والتخفيف عنهم بما أعطاهم الله من الأموال. وفي هذا بيانٌ لحاجة المسلمين إلى التواصي بالصبر والتراحم، ولا تقوم مصالحُ الناس في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم، فلا بد للمسلم أن يصبر وأن يرحم، وبالصبر تكون الشجاعة والثبات، وبالرحمة يكون الكرم والإحسان.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۖ﴾ أي: الأغنياء المتصفون بالإيمان وفك الرقاب وإطعام الطعام هم أصحاب اليمين، الذين يؤتون كتب أعمالهم بأيمانهم، ويدخلهم الله الجنة، فرحمة الله قريب من المحسنين.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۖ﴾ أي: والذين كفروا بآيات القرآن، ولم يعملوا الصالحات، ولم يرحموا عباد الله، هم أصحاب الشمال الذين يؤتون كتب أعمالهم بشئائهم، ويدخلهم الله النار، ولا تنفعهم أموالهم التي بخلوا بها في الدنيا.

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ۖ﴾ أي: عليهم نارٌ مطبقةٌ مغلقة الأبواب، لا يخرجون منها أبداً، ولا يرحمهم الله في الآخرة؛ لأنهم لم يرحموا عباد الله في الدنيا، ومن لا يرحم لا يُرحم.

تدبر سورة الشمس

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ①﴾ أي: أُقسِم بالشمس وضوئها.

﴿وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ②﴾ أي: وأُقسِم بالقمر إذا تبع الشمس في الإضاءة وفي

السير بعدها.

﴿وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّلَهَا ③﴾ أي: وأُقسِم بالنهار إذا أضاء الأرض بنوره.

﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ④﴾ أي: وأُقسِم بالليل إذا يغطي الأرض بظلامه.

﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ⑤﴾ أي: وأُقسِم بالسماء، وأُقسِم بالله الذي بناها.

﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا ⑥﴾ أي: وأُقسِم بالأرض، وأُقسِم بالله الذي بسطها

ووسَّعها.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦﴾ أي: وأُقسِم بكل نفسٍ، وأُقسِم بالله الذي خلقها

بإتقان، فعَدَّلَ أعضاء الإنسان، وخلقَه على الفطرة، وأنعم عليه بالعقل، وجعله قابلاً لمعرفة ما ينفعه في دينه ودنياه.

﴿فَالْهَمَّهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧﴾ أي: فبين الله لكل نفسٍ طريقَ الخير

لتسلُّكه، وطريقَ الشر لتجنبه، وعَرَّفَهَا الحق بفطرتها وبإرسال الرسل وإنزال الكتب، فاهتدت إلى الحق بتوفيقه، أو ضلت عن الحق بخذلانه. كما قال تعالى:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]. وكان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها». رواه مسلمٌ من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [٩] هذا هو جواب القسم، أي: قد فاز بالنجاة من النار والخلود في الجنة من طهر نفسه من الكفر والمعاصي والأخلاق السيئة، وتماها وعظمها وشرّفها بالإيمان والعلم النافع والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة. كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [١٤] وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى [١٥] [الأعلى: ١٤-١٥].

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [١٠] أي: وقد خسر وشقي بدخول النار من أخفى نفسه وحقّرّها بالكفر والمعاصي، ودنّسها بالذنوب والعيوب، ولم يُشرّف نفسه بطاعة الله سبحانه.

﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ [١١] أي: كذّبت أمّة ثمودَ بالحق الذي جاءهم به رسولهم صالح، بسبب طغيانهم الذي جاوزوا فيه الحد.

﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشَقَّاهَا﴾ [١٢] أي: حين نهض أشقى ثمودَ لعقر الناقة التي جعلها الله لهم آية وفتنة. كما قال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْطَبِرْ﴾ [٢٧] وَبَيِّنْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ [٢٨] فَنادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ [٢٩] [القمر: ٢٧-٢٩].

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [١٣] أي: فقال لهم رسول الله صالح عليه الصلاة والسلام: احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء، واحذروا أن تمنعوها من

الشرب في يومها الذي جعله الله نصيبا لها، حين قسم الماء بينكم وبينها. كما قال تعالى: ﴿وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَكُومَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف: ٧٣]. وقال سبحانه: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾ [الشعراء: ١٥٥-١٥٦].

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ أي: فكذب كفار ثمود نبيهم صالحا فيما جاءهم به من الحق، وما توعدهم به من العذاب، فقتلوا الناقة كفرا وعنادا. كما قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَثْنَتَا يَمَّا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأعراف: ٧٧-٧٨]. وقد نسب الله عقر الناقة إلى جميع كفار ثمود - وإن كان عاقرها واحدا - لأنهم رضوا بفعله، فصاروا كالفاعلين لهذا الذنب، فمن رضي بالمعصية فهو كمن عملها، فيجب الحذر من الرضا بالكفر والمعاصي.

﴿فَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّلَهَا ﴿١٤﴾﴾ أي: فأطبق الله على أمة ثمود العقوبة بسبب كفرهم وعقرهم الناقة، فسوى الهلاك على جميعهم، كبارهم وصغارهم، أغنيائهم وفقرائهم، ذكورهم وإناثهم، فلم ينج منهم أحد إلا المؤمنين. والمراد بهذه الدمة الصيحة التي أهلكوا بها، كما قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ

الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا
أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ ﴿٦٨﴾ [هود: ٦٧-٦٨].

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ ﴿٦٥﴾ أي: ولا يخاف الله عاقبة إهلاك جميع أمة ثمود، فهو العزيز القهار القوي الذي لا يخشى أحدا. كما قال تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ [البروج: ١٦-١٨]. فثمود أمة عظيمة، لا يعلم عددهم إلا الله سبحانه، كانوا أشد منا قوة، ومن قوتهم أنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين، فأهلكهم الله أجمعين، ولم يبال بهم، ولا يخاف أن يسأله أحد عنهم. قال الله سبحانه عن ثمود: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِيَّاتِ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْقَوْمِ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ [النمل: ٥٢]. وقال الجبار سبحانه: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ﴿١١﴾ [الأنبياء: ١١].

تدبر سورة الليل

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ١﴾ أي: أقسم بالليل إذا يغطي الأرض ومن عليها بظلامه.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ٢﴾ أي: وأقسم بالنهار إذا ظهر للخلق بنوره.

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ٣﴾ أي: وأقسم بالله الذي خلق الذكر والأنثى بقدرته. أقسم الله بالليل والنهار، وهما مختلفان، وبالذكر والأنثى وهما مختلفان، على أن سعي الناس مختلف فقال:

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ٤﴾ أي: إن أعمالكم - أيها الناس - لمختلفة أشد الاختلاف، فمنكم المؤمن والكافر، ومنكم المطيع والعاصي، ومنكم المهتدي والضال، ومنكم المخلص والمرائي، ومنكم المتبع والمبتدع.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ٥﴾ أي: فأما من أعطى ما أمره الله بإعطائه من الزكاة والنفقات والصدقات، وسائر الواجبات الاعتقادية والقولية والفعلية، واتقى الله بترك المحرمات الظاهرة والباطنة.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ٦﴾ أي: وصدق بالتوحيد وأركان الإيمان، ومن ذلك التصديق بالجنة.

﴿فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْعُسْرَى ۝١٠﴾ أي: فسنسهل لمن أعطى الواجبات واتفق المحرمات وصدق بالحق أمور دينه ودنياه في جميع أحواله. فمن أراد أن يسهل الله أموره، فليصدق، وليتقي الله، وليحقق الإيمان، وليبشر بالخير العظيم في الدنيا والآخرة، كما وعد الله بذلك في كتابه في آيات كثيرة، كقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]. وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]. وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝٤﴾ [الطلاق: ٤].

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨﴾ أي: وأما من بخل بما أمره الله من الزكاة والنفقات والصدقات، واستغنى بهاله وشهوات الدنيا عن الله وعبادته، وأصر على ضلاله.

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩﴾ أي: وكذب بالتوحيد والإيمان، وكذب بالجنة.

﴿فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْعُسْرَى ۝١٠﴾ أي: فسنعسر على من بخل واستغنى عن الله فعل الخير الذي ينفعه في دينه ودنياه وآخرته، فلا يوفقه الله إلى الإيمان والأعمال الصالحة، ويخذه بتسهيل الشر على يديه، وتسليط شياطين الإنس والجن عليه. كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء: ١١٥]. وقال تبارك وتعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوْءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨]. روى البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في جنازة، فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كُتِبَ مقعده من النار، ومقعده من الجنة»، قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا، وندعُ

العمل؟! قال: ﴿اعملوا فكلَّ ميسرٍّ لما خُلِقَ له، أما من كان من أهل السعادة فييسرُ لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فييسرُ لعمل أهل الشقاوة﴾، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٥-١٠].

﴿وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿١١﴾﴾ يعني: وأيُّ شيء يدفع عن الكافر ماله الذي بخل به وأعرض بسببه عن عبادة الله إذا مات، وسقط يوم القيامة في جهنم؟!

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴿١٢﴾﴾ أي: إن علينا أن نبين الهدى من الضلال بإنزال الكتب وإرسال الرسل، فقد بين الله الصراط المستقيم الموصل إلى الله وإلى جنته.

﴿وَوَيْلٌ لِّلْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿١٣﴾﴾ أي: وإن لنا الآخرة والدنيا، فنعطي خير الدنيا والآخرة من نشاء، ونمنعه عن من نشاء، فمن أراد خير الدنيا والآخرة فليسأل الله سبحانه، فهو مالكهما، والمتصرفُ فيهما بقدرته ومشيئته وحكمته.

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾﴾ أي: فحذرتكم - أيها الناس - نار جهنم التي تشتعل، فاحذروا الكفر والمعاصي حتى لا تدخلوا النار بسبب ذنوبكم.

﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾﴾ أي: لا يدخل نار جهنم خالدا فيها أبداً، وتُحيطُ به من جميع جوانبه، إلا الكافر الشقي الذي كذب بالحق، فلم يؤمن بالله وآياته، وتولى عن طاعة الله وطاعة رسوله. كما قال تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٢﴾﴾ [القيامة: ٣١-٣٢].

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ أي: وسيُبعد عن النار المؤمن الذي اتقى الله بفعل الواجبات، واجتناب المحرمات.

﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾﴾ أي: المؤمن الذي يقيه الله عذاب جهنم هو الذي يتصدق من ماله بإخلاص، من أجل أن يزكي نفسه بالطاعات، ويتطهر من السيئات. وقد أجمع المفسرون على أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وحكمها عام لكل من اتقى الله، وتصدق من ماله بإخلاص.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾﴾ أي: وليس إنفاقه ليكافئ من أحسن إليه من الناس، بل هو مخلص في صدقاته، لا يريد من الذين يحسن إليهم جزاء ولا شكورا، وليس لأحد من الخلق عليه نعمة تُجْزَى إلا وقد كافأه عليها.

﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾﴾ أي: لكن ينفق أمواله يبتغي بذلك وجه ربه الأعلى؛ ليرضى عنه، ويدخله جنته.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾﴾ أي: وأقسم لسوف يرضى هذا المتقي المتصدق حين يدخله الله جنته، ويثيبه الثواب العظيم على تقواه وصدقاته.

تدبر سورة الضحى

هذه السورة لها سبب نزول: وهو أن جبريل عليه السلام أبطأ بالوحي فلم ينزل على النبي ﷺ أياماً، فقال بعض المشركين: قد ترك محمدٌ، فأنزل الله عز وجل هذه السورة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَى﴾ ١ أي: أقسم بوقت الضحى وما فيه من الضياء.

﴿وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى﴾ ٢ أي: وأقسم بالليل إذا غشى ظلامه وجه الأرض.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ ٣ أي: ما تركك ربك - يا رسول الله - وما أبغضك كما يدعي المشركون. وتأمل مناسبة هذا القسم وهو نور الضحى الذي يأتي بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو نور الوحي الذي أتى بعد احتباسه عن النبي عليه الصلاة والسلام.

﴿وَلَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ ٤ أي: وثواب الآخرة خير لك - يا رسولنا - من الدنيا وما فيها.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ٥ أي: وأقسم لسوف يعطيك ربك من خير الدنيا والآخرة ما يرضيك. وعد الله رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام بما تقر به عينه، وهو أن يعطيه حتى يرضى، وهذا يعم ما يعطيه من القرآن، والهدى

والعلم، والنصر على الأعداء، وكثرة الأتباع، وانتشار الدين، وما يعطيه بعد موته من النعيم في البرزخ، وما يعطيه يوم القيامة من المقام المحمود والشفاعة في أمته، وما يعطيه في الجنة من المنزلة الرفيعة، والدرجة العالية التي لا تنبغي لسواه. كما قال تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ [الفتح: ١-٣]. ثم عدد الله على رسوله ثلاث نعم أنعم بها عليه فقال:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾ أي: ألم يجدك ربك - أيها الرسول - يتيما فيسر لك من يكفلك وينصرك؟ فقد مات أبوه وهو في بطن أمه، ثم مات أمه وهو صغير لا يدبر نفسه، فأواه الله بأن يسر أن يكفله جدّه عبد المطلب، ثم لما مات جده كفله عمّه أبو طالب، حتى أيده الله بنصره وبالمؤمنين من أصحابه.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ أي: وألم يجدك ربك - أيها الرسول - ضالا عن معرفة القرآن والإيمان، فعلمك الله القرآن، وهداك إلى الإيمان، وعرفك أحكام الشريعة، وكنت جاهلا بكل ذلك قبل النبوة؟

كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣﴾ [النساء: ١١٣]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. فالمراد بالضلال في الآية: عدم معرفة القرآن والإيمان، وليس المراد بالضلال هنا اتباع الباطل؛ فإن الأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة.

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ (٨) أي: وألم يجدك ربك - أيها الرسول - فقيرا ذا عيال، فأغناك الله بما يسر لك من الأموال وغنى النفس؟ فقد أغنى الله رسوله بما رزقه من الغنائم وغيرها، وقنعه بما آتاه، والقناعة غنى، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس». ثم أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام أن يقابل هذه النعم الثلاث بما يليق بها من الشكر، فنهاه أن يقهر اليتيم، وأن ينهر السائل، وأن يكتم النعمة، وأمر الله لرسوله أمرٌ لأمته، فقال سبحانه:

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (٩) أي: فأما اليتيم فلا تظلمه بأخذ حقه، بل أحسن إليه، فكما كنت يتيما فأواك الله فلا تقهر اليتيم.

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (١٠) السائل يشمل السائل عن العلم، وهو المستفتي والمتعلم، ويشمل السائل المسكين الذي يسأل الناس الصدقة، فمعنى الآية: وأما السائل المسكين الذي يطلب الصدقة، والسائل عن العلم، فلا تزجره إذا سألك، بل اعط المسكين السائل من مالك وطعامك، وأجب المتعلم عن سؤاله، فكما كنت عائلا فأغناك الله، وكنت ضالا عن العلم فهداك الله وعلمك، فلا تنهر السائل برفع الصوت والزجر، وإن أساء فردّه بلطف بلا عنف.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (١١) أي: وأما بنعم ربك الدينية والدنيوية فحدث الناس بها، ولا تكتمها، فكما علمك الله وهداك، وكما أغناك؛ فحدث بما أنعم الله عليك في دينك ودنياك، فمن شكر النعمة أن يُحدّث المسلم بها شكرا لله،

وثناء بها عليه، لا فخرا على الناس. روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب أن يُرى أثر نعمته على عبده»، فمن وسع الله عليه فليوسع على نفسه وأهله في مطعمه وملبسه ومسكنه ونفقته، بلا إسراف، ولا خيلاء. ومن الأحاديث الصحيحة في الثناء على الله بنعمه ما رواه النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكل طعاما عند بعض الأنصار، فلما غسل يده قال: «الحمد لله الذي يُطعم ولا يُطعم، منّ علينا فهدانا، وأطعمنا وسقانا، وكل بلاء حسن أبلانا، الحمد لله غير مودع، ولا مكافئ، ولا مكفور، ولا مستغنى عنه، الحمد لله الذي أطعم من الطعام، وسقى من الشراب، وكسا من العري، وهدى من الضلالة، وبصّر من العمى، وفضّل على كثير من خلقه تفضيلا، الحمد لله رب العالمين». وأيضا من التحدث بنعم الله أن يحدث العالم وطالب العلم الناس بما علمه الله من القرآن وتفسيره والسنة والفقه وغير ذلك من العلم النافع، فيعلم الناس مما علمه الله، ويُظهر علمه مشافهة وتأليفا ليستفيد الناس منه، ولا يكتُم علمه، وهذا يدخل في التحدث بنعمة الله كما ذكر العلماء. اللهم اجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها عليك، وأتمها علينا.

تدبر سورة الشرح

هذه السورة كلها خطابٌ للنبي محمدٍ عليه الصلاة والسلام، مثلُ سورة الضحى، وسورة الكوثر، فهي ثلاث سورٍ خاصة بالنبي محمد ﷺ.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ﴾ (١) أي: ألم نوسّع لك صدرك لمعرفة الحق والعمل به، وتحملِ أعباء الدعوة إلى الله؟ فمن أعظم نعم الله على عبده أن يوسع صدره في طلب العلم، فيعلم الحق، ويعمل بما علم، ويصبر على طلب العلم والعمل به وتعليمه، ويتحمل أذى الناس. كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]. ولا بد من سعة الصدر لمن يدعو الناس ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، كما حكى الله قول موسى عليه الصلاة والسلام حين أمره أن يدعو فرعون: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٥-٢٦]. وقد كان النبي ﷺ أوسع الناس صدرا، وأعظمهم صبرا، وأحسنهم أخلاقا.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۖ﴾ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ أي: وحططنا عنك - يا رسولنا - إثمك الذي أثقل ظهرك، قال بعض العلماء: هذا مثلٌ معناه: لو كانت ذنوبك حملا تحمله على ظهرك لسمع نقيضُ ظهرك من ثقل الذنوب، فالذنوب

ثَقِيلٌ عَلَى الْعَبْدِ، وَلَا يَخْفِفُهُ إِلَّا التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ، فَالتَّوْبَةُ خَيْرٌ وَسَعَادَةٌ وَرَاحَةٌ، وَطُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا. وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ذُنُوبَهُ كُلَّهَا، أُولَئِكَ وَآخِرُهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢٢]. وَاعْلَمُوا - بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ - أَنَّ الذَّنْبَ يَكُونُ بِفِعْلِ الْحَرَامِ، أَوْ بِتَرْكِ الْوَاجِبِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعْصُومٌ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمَحْرَمَاتِ، وَقَدْ يَقَعُ مِنْهُ خِلَافُ الْأَوَّلَى، مِثْلُ قِصَّةِ الْأَعْمَى الْمَذْكُورَةِ فِي سُورَةِ عَبَسَ، وَمِثْلُ إِذْنِهِ لِلْمُتَخَلِّفِينَ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَعَاتَبَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣]. وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْثُرُ مِنْ اسْتِغْفَارِ اللَّهِ لِأَنَّهُ لَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ مِنَ الْعِبَادَةِ الْكَامِلَةِ الَّتِي يَسْتَحِقُّهَا الْخَالِقُ سُبْحَانَهُ، فَمَهْمَا أَكْثَرَ الْإِنْسَانُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَغْفَلُ وَيَفْتَرُ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ قَالَ: غُفْرَانُكَ، فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَذْكُرُ اللَّهَ حَالَ قَضَاءِ حَاجَتِهِ، وَهَذَا لَيْسَ ذَنْبًا، وَلَكِنَّهُ سَأَلَ اللَّهَ الْمَغْفِرَةَ لِلتَّقْصِيرِ فِيمَا يَجِبُ لِلَّهِ الْعَظِيمِ مِنَ الذِّكْرِ وَالشُّكْرِ، فَمَهْمَا عَبْدٌ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ فَهُوَ مُقَصِّرٌ فِي حَقِّهِ، وَفِي مُسْتَدْرِكِ الْحَاكِمِ مِنْ حَدِيثِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَقُولُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: (سُبْحَانَكَ مَا عَبْدُكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ)، مَعَ أَنَّهُمْ يَسْبِحُونَ اللَّهَ لَيْلًا وَنَهَارًا لَا يَفْتَرُونَ. وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِنَا وَتَسْيِيرِهِ عَلَيْنَا أَنْ أَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَهُ وَنَتَّقِيهِ بِقَدْرِ الْإِسْطَاعَةِ، وَأَنْ نَكْثُرَ مِنَ التَّوْبَةِ إِلَيْهِ وَاسْتِغْفَارِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦]، وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اسْتَقِيمُوا، وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ»، وَفِي

الحديث الآخر: «سددوا وقاربوا وأبشروا»، فعلى المسلم أن يحرص على السداد وإصابة الخير، فإن لم يستطع الكمال فليقارب بقدر استطاعته، وليبشّر بالخير، فمن حافظ على صلواته الخمس في أوقاتها بشروطها وأركانها وواجباتها، واتقى الله بفعل الواجبات بقدر استطاعته، واجتنب ما حرم الله عليه من الكبائر والصغائر، وتاب إلى الله مما يقع فيه من الآثام؛ فهو على خير، فمن كثر خيرُه على شره فهو من الصالحين، فكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ٤١ أي: ورفعنا لك ذكرك تشريفاً لك وتعظيماً، فالمسلمون يذكرون اسم النبي محمد مع اسم الله سبحانه في الشهادتين: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، في تشهد الصلاة، وفي الأذان، وفي الخطب، وجعل الله رسوله قدوة للمسلمين في جميع أحوالهم. كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]. وأمر الله المسلمين أن يصلوا على النبي عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وصلاة الله على نبيه ثناؤه عليه، ويلزم منها رحمته ورفع درجاته، وصلاة الملائكة دعاؤهم له، ومن صلى على النبي مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرة، كما جاء في الحديث الصحيح. فلم يرفع الله قدر أحدٍ من خلقه كما رفع نبيه محمداً ﷺ، فهو سيد الأولين والآخرين، وقد حفظ الله بواسطة علماء الأمة سيرته وأحاديثه النبوية، ولا يوجد نبي من الأنبياء حفظ سيرته وأقواله وأفعاله وأسماء أصحابه وأخبارهم كنبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وأفضل خلق الله أجمعين.

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾ أي: فإن مع الشدة والفقر الذي يصيب المؤمنين سهولةً وغنى في الدنيا لمن شاء الله، وفي الآخرة لجميع المؤمنين. كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝٦ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق: ٢-٣].

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ أكد الله في هذه الآية أن مع العسر يسرا، ومع الضيق سعة، كما قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ [الطلاق: ٧]. وفي مسند أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «واعلم أن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا». فلا توجد شدة على المؤمن إلا ويجعل الله بعدها مخرجا، وما أحسن قول الشاعر:

إن البلاء وإن طال الزمان به ... فالموت يقطعه أو سوف ينقطع

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧﴾ هذا أمر للنبي ﷺ، ويدخل فيه أمته. أي: فإذا فرغت من أعمالك التي تشغل بها فأتعب نفسك بعدها في عبادة الله. فعلى المسلم أن يغتنم حياته في طاعة الله، ويتنقل من عمل صالح إلى عمل صالح، وإذا فرغ من عبادة انتقل إلى غيرها، وإذا فرغ من أمر الدنيا فليُنصب في أمر الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝٦٢﴾ [الفرقان: ٦٢]. وفي مستدرک الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك».

﴿وَالِى رِبِّكَ فَارْعَبْ﴾ ٨ أي: وإلى ربك وحده فاجعل رغبتك ونيتك، واسأله حاجاتك، وتوكل عليه في جميع أمورك، ولا ترجو غيره من الخلق. فعلى المسلم أن يدعو الله وحده، ويستعين به في جميع أموره، ويرجو رحمته وفضله، كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. روى ابن ماجه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كانت الدنيا همّه، فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأتِه من الدنيا إلا ما كُتِبَ له، ومن كانت الآخرة نيته، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة».

تدبر سورة التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ① وَطُورِ سَيْنِينَ ②﴾ الله عز وجل يقسم بما شاء من خلقه، أما المخلوق فلا يجوز له أن يحلف إلا بالله سبحانه، كما قال سبحانه: ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ [المائدة: ١٠٦]، فالحلف بالله هو تعظيم لله، لكن لا يجوز الحلف بالله كاذباً، ولا الإكثار من الحلف بالله في كل شيء، وفي الحديث الصحيح: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»، وفي الحديث الآخر: «من حلف بغير الله فقد أشرك»، فالحلف بغير الله شرك؛ لأن فيه تعظيماً لغير الله، فلا يجوز للإنسان الحلف بالأمانة ولا بالنبي ولا بالأولاد ولا بأحدٍ من الخلق. أقسم الله في هذه السورة بالتين والزيتون، وجبل الطور الذي في سيناء، ومكة المكرمة، فالمعنى: أقسم بالتين، وهو الثمر المعروف الذي يؤكل رطباً ويابساً، وأقسم بالزيتون، وهو الثمر المعروف الذي يؤكل ويُستخرج منه الزيت، وأقسم بجبل طور سيناء. كما قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلْأَكْلِيتِ ③﴾ [المؤمنون: ٢٠]. وقد أقسم الله في سور أخرى بالفجر والعصر والشمس والقمر والنهار والليل وغير ذلك، فالله يقسم بما شاء لتأكيد صدق خبره، وما أقسم الله به ففيه تشريف له.

﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ أي: وأقسم بمكة البلد الآمن الذي يأمن من دخله، فلا يجوز الصيد فيه، ولا قطع أشجاره، فهو حرم آمن. كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. والقسم في هذه الآيات الثلاث فيه إشارة إلى الأنبياء الثلاثة: عيسى وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، أصحاب الشرائع المشهورة، فالقسم بالتين والزيتون إشارة إلى منابتها في الأرض المقدسة في الشام التي بُعث فيها عيسى عليه الصلاة والسلام، والقسم بطور سيناء إشارة إلى الجبل الذي كلم الله فيه موسى عليه الصلاة والسلام. كما قال تعالى: ﴿وَنَذَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]. والقسم بمكة إشارة إلى البلد الذي بعث الله فيها رسوله محمدا عليه الصلاة والسلام. كما قال تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [١] ﴿وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [٢] [البلد: ١-٢]. فأقسم الله بالأمكنة الشريفة الثلاثة، التي أنزل فيها أعظم الكتب السماوية؛ وذكرها على وجه التدرج؛ لأن أشرفها: القرآن ثم التوراة ثم الإنجيل، وكذلك الأنبياء الثلاثة، أفضلهم محمد ثم موسى ثم عيسى صلى الله عليهم وسلم، فأشار أولا إلى عيسى وكتابه الإنجيل، ثم إلى موسى وكتابه التوراة التي هي أفضل من الإنجيل، ثم أشار إلى محمد خاتم الأنبياء وأفضلهم، وكتابه القرآن أفضل الكتب.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ هذا هو جواب القسم، أي: لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة، وأعدل هيئة. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]. وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ

الْكَرِيمِ ٦ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ٨ ﴿٨﴾
[الانفطار: ٦-٨].

﴿تَمَّ رَدْدَنَهُ أَصْفَلَ سَفْلِينَ﴾ ٦ أي: ثم رددنا الإنسان بعد موته إلى النار بسبب كفره وفسوقه.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ٦ أي: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلا يُردون إلى النار، فلهم أجر كامل في الجنة غير منقوص، دائم غير مقطوع. كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ٢٤ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ٢٥ [الانشقاق: ٢٤-٢٥]. وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفَىٰ خُسْرٍ﴾ ٢٦ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ ٢٧ [العصر: ٢-٣].

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ﴾ ٧ الخطاب للكافر، أي: ما الذي يجعلك تكذب بالبعث، وتنكر قدرة الله على بعث عباده بعد موتهم مع ظهور كمال قدرة الله؟! وقيل: الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام، أي: فمن الحقيِر الذي يكذبك - يا رسول الله - بعد تبين الحق؟! وكلا القولين صحيح تحتمله الآية، فالدين يطلق على الحساب يوم القيامة، ويُطلق على دين الإسلام.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ ٨ أي: أليس الله بأتقن الحاكمين، وأعدل العادلين؟! بلى، فالله أحكم الحاكمين، في خلقه، وفي شرعه، وفي قدره، لا يخلق شيئاً إلا لحكمة، ولا يشرع شيئاً إلا لحكمة، ولا يُقدِّر شيئاً إلا لحكمة، علم ذلك

من علمه، وجهله من جهله، والله هو الحكم الذي يحكم بين عباده فيما كانوا فيه
يختلفون، ويحاسبهم على أعمالهم يوم القيامة، وما ربك بظلام للعبيد.



تدبر سورة العلق

هذه السورة هي أول سورة أنزلها الله على رسوله، فالخمس الآيات الأولى منها هي أول ما نزل من القرآن، نزلت في شهر رمضان في ليلة القدر، والنبي عليه الصلاة والسلام في غار حراء في مكة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) أي: اقرأ - أيها الرسول - القرآن مبتدئاً بذكر اسم ربك الذي خلق كل شيء. وهذا الأمر بالقراءة وإن كان أمراً للنبي ﷺ أولاً، فهو أمر لكل واحد من أمته، فعلى كل مسلم أن يقرأ القرآن، فهو خير ما يقرأ، وأن يبدأ قراءة القرآن بقوله: بسم الله الرحمن الرحيم، متبركاً باسم الله، ومستعيناً باسمه سبحانه.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (٢) أي: خلق الله الإنسان من قطعة دم جامد. فالإنسان يكون في رحم أمه نطفة ثم يكون علقة تعلّق في الرحم، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ يَمَنِى﴾ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) [القيامة: ٣٧-٣٨].

﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (٣) أي: اقرأ القرآن وربك الكثير الإحسان إلى جميع خلقه. كما قال تعالى: ﴿وَرَقِلَ الْفُؤَادَ تَرْتِيلًا﴾ (٤) [المزمل: ٤]. وفي تكرار الأمر بالقراءة تأكيد على الإكثار منها، لا سيما قراءة القرآن، فالقرآن أفضل الكتب،

وقراءته حياة القلوب، وكذلك على المسلم أن يحرص على قراءة ما تيسر من الكتب النافعة، فالإسلام دين العلم والقراءة. وفي تكرار الأمر بالقراءة إشارة إلى أهمية الإكثار من القراءة لحفظ العلوم، فمن أدام القراءة سهّل عليه الحفظ والإتقان والفهم لما يقرؤه.

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۖ﴾ أي: الله الذي علم الناس الخط بالقلم، فانتفعوا بالكتابة في أمور دينهم ودنياهم. فبالكتابة تُحفظ العلوم الدينية والدنيوية، وتُضبط الحقوق المالية، ولولا الكتابة لضاع العلم، ودخل الخلل على الناس في أمور دينهم ودنياهم، فالكتابة أمرها عظيم، وينبغي الاهتمام بتعلمها وتعليمها، وفي إتقانها نحوا ولغة وإملاء خير كثير، وقد أقسم الله بالقلم وما يسطره الناس فقال: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝﴾ [القلم: ١]. ولذلك كان النبي ﷺ يأمر أصحابه بكتابة القرآن أولاً بأول، ثم جمع الصحابة بعد وفاته المصحف الشريف كاملاً، ودوّن العلماء الأحاديث النبوية، وكتبوا أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ودوّنوا السيرة النبوية والتاريخ، وكتبوا أشعار العرب وأخبارها وأمثالها، وصنفوا المصنفات النافعة في مختلف العلوم، فبقي العلم محفوظاً في الصدور وفي السطور، فحفظ الله العلم بواسطة العلماء وما كتبوه، وانتقل العلم إلينا جيلاً بعد جيل، يأخذه المتأخر عن المتقدم، مشافهة وكتابة، فالتعليم بالقلم من أعظم النعم.

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ أي: علّم الله الإنسان العلوم الكثيرة التي لم يكن يعلمها. كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ

شَيْئًا ﴿النحل: ٧٨﴾. فكل علمٍ نافعٍ هو بتعليم الله لعباده، كالعلم بالقرآن الكريم وتفسيره، والعلم بالأحاديث النبوية وشرحها، وعلم الفقه وأصوله، وعلم النحو واللغة، وعلم الأدب، وعلم التاريخ والجغرافيا والفلك والصناعات المتنوعة، والطب والهندسة وغير ذلك، كله مما علم الله عباده، فله الحمد والشكر.

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ۖ ﴿٦﴾ أَن رَّاهُ أُسْتَعْيَىٰ ﴿٧﴾﴾ أي: حقا إن الإنسان بسبب جهله وظلمه يكفر بربه ولا يشكره على نعمه، ويتجاوز الحد في عصيانه إذا كثر ماله، ورأى نفسه غنيا. فالغنى يطغي الإنسان إلا من رحم الله.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾﴾ أي: إن إلى ربك مصير الإنسان الطاغية، فيجازيه الله على أعماله. وهذا تهديد من الله للإنسان الغني الذي يطغى بهاله، وتحذير له من عاقبة الطغيان، فمهما طغيت واستكبرت فإن مرجعك إلى الله، وسيجازيك على أعمالك، ﴿وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران: ٢٨].

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ الناهي: هو أبو جهل لعنه الله، والعبد المصلي هو محمد ﷺ، فقد كان أبو جهل ينهى النبي عليه الصلاة والسلام عن الصلاة عند الكعبة، ويتوعده، فأنزل الله هذه الآيات. والمعنى: أخبرني - أيها الرسول - عن الطاغية أبي جهل الذي ينهى عبدا لله - وهو محمد عليه الصلاة والسلام - إذا صلى لله سبحانه.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾﴾ أي: أخبرني - يا أبا جهل - إن كان محمد الذي تنهى عن الصلاة على الحق في صلاته لربه، أو أمر الناس

بتوحيد الله وطاعته، فكيف تنهاه عن الصلاة وهو على الحق في نفسه، ويأمر غيره بتقوى الله؟!!

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (١٣) أي: أخبرني - أيها الرسول - عن الطاغية أبي جهل الذي كذب بالحق فلم يؤمن بالقرآن، وأعرض عن الإسلام.

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (١٤) أي: ألم يعلم أبو جهل أن الله يبصر كل شيء، وأنه يراه ويعلم أفعاله ويسمع أقواله؟!!

﴿كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ (١٥) أي: حقا أقسم لئن لم يتب أبو جهل لنأخذن بواسطة ملائكتنا بمقدم رأسه في الآخرة إذلالا له، ويُقذف في نار جهنم.

كما قال سبحانه: ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (٤١)

[الرحمن: ٤١]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (٤٨)

[القمر: ٤٨].

﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ (١٦) الناصية هي مقدم الرأس، والمراد: كاذبٌ وآثمٌ صاحبها. أي: ناصية أبي جهل كاذبة في أقوالها، خاطئة في أفعالها.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ (١٧) سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ (١٨) النادي: اسمٌ للمكان الذي يجتمع فيه القوم. والزبانية هم ملائكة العذاب. أي: فليدع أبو جهل أهل مجلسه من قومه ليستنصر بهم، سندع ملائكة العذاب الغلاظ الشداد إن دعا أبو جهل قومه. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا جهل قال: واللات والعزى لئن رأيت محمدا يصلي لأعفرن وجهه في التراب، فرأى رسول الله وهو يصلي عند الكعبة،

فذهب إليه لير قسمه، فلم يتمكن من الوصول إليه، ورجع فزعا يتقي يديه! فقيل له: ما لك؟! فقال: إن بيني وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة! فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لا اختطفته الملائكة عضوا عضوا»، فأنزل الله عز وجل هذه الآيات. وروى الترمذي هذه القصة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ يصلي، فجاء أبو جهل ينهائهم عن الصلاة، فانصرف النبي ﷺ من صلاته فزجره، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بمكة نادٍ أكثر مني، فأنزل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۖ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٧-١٨]. قال العلماء: هذه الآيات وإن نزلت خاصة في أبي جهل فهي عامة لكل من يمنع غيره عن طاعة الله بأن ينزجر قبل أن يعذبه الله، ولمن يمنعه غيره عن الخير بأن يصبر ويثبت على عبادة الله، ولا يطيع من ينهائهم.

﴿كَلَّا لَا تَطْعُهُ ۖ وَأَسْجُدْ ۖ وَقُتِرْ ۖ﴾ ١٩ أي: ليس الأمر كما يزعم أبو جهل، لا تطعه - يا رسولنا - فيما ينهائك عن الصلاة، واسجد لربك في صلاتك، واجتهد في الاقتراب من الله بالطاعة والسجود. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء». وفي صحيح مسلم أيضا عن ثوبان اليماي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «عليك بكثرة السجود لله؛ فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة».

تدبر سورة القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ١ أي: إنا ابتدأنا إنزال القرآن على النبي في ليلة القدر في شهر رمضان، وقال بعض المفسرين: أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى السماء الدنيا، ثم أنزل مفرقاً خلال ثلاث وعشرين سنة، وكلا القولين صحيح. قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ثم فخم الله شأن هذه الليلة التي أنزل فيها القرآن فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ ٢ يعني: وأي شيء أدراك ما فضل ليلة القدر؟ وقد سميت ليلة القدر لعظم قدرها وفضلها عند الله، ولأنه يُقدَّر فيها ما يكون في ذلك العام من الأعمار والأرزاق وغير ذلك كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ ٣ فيها يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٤ [الدخان: ٣-٤]. وهي تنتقل في العشر الأواخر من رمضان، روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «تَحْرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْآخِرَةِ مِنْ رَمَضَانَ». فقد تكون ليلة القدر في ليلة إحدى وعشرين، أو ليلة ثلاث وعشرين، أو ليلة خمس وعشرين، أو ليلة سبع وعشرين، وهي أرجاها، وقد تكون في ليلة تسع وعشرين،

فعلى المسلم الحريص عليها أن يقوم جميع الليالي العشرِ الأواخر من رمضان، فيكون قد قام ليلة القدر بيقين.

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي: ليلة القدر العمل الصالح فيها أفضل من العمل الصالح في ألف شهر، والألفُ الشهرُ ثلاثٌ وثمانون سنة وأربعة أشهر، فهي ليلة مباركة، يضاعف فيها أجرُ العملِ الصالح أضعافا كثيرة. فمن قرأ في ليلة القدر مثلا خمسة أجزاء من القرآن فهو أكثر أجرا ممن يقرأ خمسة أجزاء في مدة ألف شهر، ومن صلى مثلا في ليلة القدر عشرين ركعة فهو أكثر أجرا ممن يصلي عشرين ركعة في كل ليلة في مدة ألف شهر، وهكذا من سبح الله أو استغفره أو تصدق، فأجره يضاعف حتى يكون أفضل ممن عمل ذلك العمل الصالح في ثلاث وثمانين سنة، فهو أجر عظيم جدا على أي عمل صالح في تلك الليلة المباركة، فقد رحم الله هذه الأمة التي أعمارها قصيرة بالنسبة إلى أعمار من قبلها، فجعل للمسلمين في كل رمضان ليلة واحدة بعمر طويل، فمن حُرِمَ خيرها فقد حُرِمَ الخير العظيم. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه».

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي: في ليلة القدر يكثر هبوط الملائكة من السماء إلى الأرض مع الروح الأمين جبريل عليه السلام، ونزول الملائكة يكون بإذن ربهم، وفي تلك الليلة يُقدَّر الله أمورا كثيرة عظيمة تكون في تلك السنة من الخيرات والبركات والأرزاق والآجال. كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُقَرَّرُ كُلُّ أَمْرِ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]. وهذا هو التقدير السنوي من السنة

إلى مثلها، مما يطلع الله عليه ملائكته، وهو غير التقدير الذي كتبه الله في اللوح المحفوظ من قبل خلق السماوات والأرض، كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة». فلا يكون شيء في الكون إلا بمشيئة الله سبحانه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، فكل ما يكون قد علمه الله، وكتبه في اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [٥] أي: ليلة القدر سالمة من كل شر لكثرة خيرها وبركتها، وتسلم الملائكة فيها على المصلين والذاكرين، من غروب الشمس إلى طلوع الفجر. فليلة القدر تبدأ بغروب الشمس، وتنتهي بطلوع الفجر، فعلى المسلم أن يجتهد فيها بأنواع العبادات من صلاة وتلاوة وتسبيح وتهليل وتحميد وتكبير واستغفار ودعاء بخير الدنيا والآخرة وصلاة على رسول الله ﷺ وصدقة وغير ذلك من أنواع العبادات، فهي ليلة أعظم من ألف شهر.

تدبر سورة البينة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١﴾
 أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، والمشركون هم عبادة الأوثان الذين ليس معهم كتاب، ومعنى: منفكين أي: منتهين، ومعنى الآية: لم يكن الكفار من اليهود أهل التوراة والنصارى أهل الإنجيل والمشركون عبدة الأصنام منتهين عن الكفر حتى يأتيهم القرآن الذي أنزله الله على رسوله محمد ﷺ.

ثم بين الله معنى البينة فقال: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢﴾ أي: البينة رسولٌ من الله يقرأ عن ظهر قلبه القرآن المكتوب في صحف بأيدي الملائكة في السماء، وأيدي المسلمين في الأرض، مطهرة من الكذب والباطل. كما قال تعالى:
 ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ۝١٣ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾ [عبس: ١٣-١٦].

﴿فِيهَا كُتِبَ قِيسَةٌ ۝٣﴾ أي: في صحف القرآن مكتوبات مستقيمة، أخبارها صادقة، وأحكامها عادلة، تهدي الناس إلى الحق في العلم والعمل.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ أي: وما اختلف اليهود والنصارى الذين آتاهم الله التوراة والإنجيل إلا من بعد ما جاءتهم رسلهم بكتب الله المبينة للحق، ومن ذلك البشارة بمحمد ﷺ، فلما بعثه

الله اختلفوا فيه، فأمن به بعضهم، وكفر به أكثرهم، فاختلّفوا وتفرّقوا مع وضوح الحق في كتبهم. كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]. فالأمم السابقة اختلفوا في الحق مع وضوحه، وهكذا اختلفت هذه الأمة في الحق الذي جاءها من عند الله مع كون الحق أوضح من الشمس، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. فمن ضل عن الحق فليس ضلاله لخفاء الحق، وإنما ضل لسوء نيته وقصده، أو لتعصبه وتقليده دعاة الضلال من شياطين الإنس والجن، وإلا فمن اعتصم بالله بدعائه وعبادته، واعتصم بالقرآن فتمسك به بتلاوته وتعلّمه وتدبره والعمل به، واتبع سنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وسأل العلماء الراسخين في العلم عن دينه؛ فإنه يهتدي إلى الحق بإذن الله. روى الترمذي وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة». والفرقة الناجية هي المتبعة لكتاب الله وسنة رسوله، التي منهجها ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، ومن منهج الصحابة: تدبر القرآن والاهتداء به، وتعلم سيرة الرسول وسنته والاقتداء به، ومن منهجهم: العمل بالعلم ظاهراً وباطناً بقدر الاستطاعة، ومن منهجهم: الخوف من الله، وترك العجب بالنفس، ومن منهجهم: التيسير وعدم التنطع والتكلف، ومن منهجهم: الاجتماع على الحق، وعدم التنازع والاختلاف، وسعة الصدور في المسائل الاجتهادية، ومن منهجهم: الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، وترك التكفير والتفسيق والتبديع بلا برهان، فمن اتبعهم بإحسان فهو من الفائزين، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّيْقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: وما أمر الله اليهود والنصارى في كتبهم إلا أن يوحّدوا الله بالعبادة فلا يعبدوا غيره، في حال كونهم مخلصين له الطاعة، لا يشركون به شيئاً. كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. والإخلاص أعظم العبادات القلبية، وهو: تصفية العمل للخالق عن ملاحظة المخلوقين، وتخليصه من الشرك والرياء والسمعة، وعدم إرادة شيء من الدنيا به، وإرادة التقرب به إلى الله وحده.

﴿حُنَفَاءَ﴾ أي: مائلين عن الشرك إلى التوحيد، مستقيمين على دين الإسلام. كما قال تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ [الحج: ٣١]. وقال سبحانه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]. فأعظم الواجبات التوحيد، والتوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وأعظم المحرمات الشرك، وهو عبادة غير الله معه، فيجب على المسلم أن يعبد الله وحده، ولا يدعو غير الله كائناً من كان، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] لا ملكاً ولا نبياً ولا ولياً ولا شجراً ولا حجراً ولا كوكباً ولا قبراً، لا تعبد إلا الله

وحده لا شريك له. قال الله سبحانه: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

﴿وُيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: وقيموا الصلوات المكتوبة في أوقاتها بشروطها وأركانها وواجباتها.

﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: ويعطوا الزكاة المفروضة أهلها المستحقين لها.

﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ أي: وذلك المذكور من التوحيد وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة دين الإسلام المستقيم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: إن الكفار من اليهود والنصارى والمشركين في نار جهنم يوم القيامة، ماكثين فيها أبدا. وفي هذا دليل واضح على أن اليهود والنصارى كفار، وأنهم إن لم يتوبوا من كفرهم في النار. قال الله تعالى لليهود: ﴿وَعَامِنُوا بِمَا آتَيْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ [البقرة: ٤١]. وقال سبحانه عن النصارى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [٧٢] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٧٣] ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٧٤-٧٣].

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والذي نفس

محمد بيده، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار». فلا يجوز لمسلم أن يصحح دين اليهود والنصارى، فقد أخبرنا الله في كتابه عن ضلالهم، وحذرنا من طاعتهم وموالاةهم.

﴿أُولَئِكَ هُم شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ ٦ أي: هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى والمشركين هم شر المخلوقات، فهم شرُّ من الكلاب والخنازير والقردة والحشرات؛ لأنهم لم يعبدوا الله وحده، ولم يصدقوا القرآن، وأعرضوا عنه وهو كلام الله، ولم يؤمنوا برسوله محمدٍ عليه الصلاة والسلام الذي أرسله الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٥٥ [الأنفال: ٥٥]. وقال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ ١٧٩ [الأعراف: ١٧٩]. فلا يجوز للمسلم أن يعظم الكافرين، حتى ولو كانوا علماء بالدنيا، فهم جاهلون بالله ودينه، وغافلون عن الآخرة، قال الله تعالى: ﴿يَعْمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ ٧ [الروم: ٧]. ولا يجوز للمسلم أن يحب الكافرين ولو كانوا أقاربه، كما قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ٧ أي: إن الذين آمنوا بالله ورسوله محمدٍ، وبما جاء به، وعملوا الأعمال الصالحة، أولئك هم خير المخلوقات.

﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾
 جنات أي: بساتين، وعدن أي: إقامة، فمعنى الآية: ثوابهم في الآخرة عند ربهم
 بساتين إقامة تجري من تحت أشجارها الأنهار، ماكثين في الجنة أبداً، يتنعمون فيها
 كل وقت، فلا يموتون فيها، ولا يخرجون منها.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ أي: رضي الله عن الذين آمنوا وعملوا
 الصالحات بسبب إيمانهم وطاعتهم لله ورسوله، ورضوا هم عن الله لإدخالهم
 جنته.

﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ ﴿٨﴾ أي: هذا الثواب العظيم في الجنة يكون لمن خاف
 الله في الدنيا، فامتثل الواجبات، واجتنب المحرمات. كما قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ
 لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ
 وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ [ق: ٣١-٣٣].

تدبر سورة الزلزلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ أي: إذا رُجَّتْ جميعُ الأرض يوم القيامة، وتحركت بشدة، وتهدم كل ما عليها. كما قال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۝٢﴾ [الواقعة: ٤]. وقال عز وجل: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا ۝٣﴾ [الفجر: ٢١].

﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٤﴾ أي: وأخرجت الأرض ما فيها من الأموات حين يبعثهم الله أحياء للحساب والجزاء يوم القيامة. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٥ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٦﴾ [الانشقاق: ٣-٤]. وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٦].

﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۝٧﴾ أي: وقال الناس يوم القيامة متعجبين خائفين: ما للأرض زُلزلت وقد كانت ساكنة؟!

﴿يَوْمَ يَذُّنُ أَخْبَارَهَا ۝٨﴾ أي: يوم القيامة تتكلم الأرض بقدرته الله بما فعل الناس على ظهرها من خير أو شر، فتشهد على الناس بأعمالهم. فالله يجعل الأرض تتكلم يوم القيامة بقدرته، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۝٩﴾ [فصلت: ٢١]. وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «المؤذن يُغفر له مدى صوته، ويشهد له كل رطب ويابس».

﴿يَأْنْ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۖ﴾ أي: يوم القيامة تحدث الأرض أخبارها بسبب وحي الله إليها، وإذنه لها بأن تتكلم. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ ۖ﴾ أي: يوم القيامة ينصرف الناس عن موقف الحساب فرقا كثيرة، فمنهم من يساق إلى الجنة، وهم المؤمنون المتقون، ويكونون متفاوتين في درجات الجنة، ومنهم من يساق إلى النار، وهم الكفار والمنافقون والفجار، ويكونون متفاوتين في دركات النار؛ ليرى كل إنسان عمله من خير أو شر مكتوبا، ويرى جزاء عمله من الثواب في الجنة أو العقاب في النار. كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومَئِذٍ يَنفَرُّونَ ۖ فَمَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهْمٌ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۖ﴾ [الروم: ١٤-١٦].

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ﴾ مِثْقَالُ أَي: وزن، والذرة هي صغار النمل الأحمر، والمعنى: فمن يعمل في الدنيا وزن ذرة من خير يره مكتوبا في كتابه، ويجد ثوابه في الجنة. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠].

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ أي: ومن يعمل في الدنيا وزن ذرة من شر يره مكتوبا في كتابه، ويجد عقابه في النار. كما قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً

وَلَا كِبَرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

[الكهف: ٤٩]. ما أعظم هذه السورة، فهي موعظة كافية، وقد سمعها بعض الصحابة رضي الله عنهم فقال: حسبي، لا أبالي أن لا أسمع غيرها، فالمؤمن العاقل يتذكر بمواعظ القرآن، وهي خير المواعظ، والشقي لا ينتفع بما يسمع.

تدبر سورة العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ١﴾ الواو هذه واو القسم، والعاديات هي الخيل التي تجري، أقسم الله سبحانه بالخيال حين تجري في القتال في سبيل الله، والضَّح: صوتٌ يُسمع من صدور الخيل عند جريها الشديد، والمعنى: أقسم بالخيال المسرعات ولها صوتٌ يُسمع في صدرها. وفي هذا بيان عظيم منزلة الخيل، وأهمية الفروسية، وفضل الجهاد في سبيل الله.

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ٢﴾ أي: فالخيال توري النار بحوافرها حين تجري في أرضٍ صُلبة، فإذا ضربت بقوائمها بقوة تظهر شرارةً نارٍ بسبب شدة انصدام قوائمها بالحجارة أو الأرض الصُّلبة.

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ٣﴾ أي: فالخيال التي يركبها الفرسان تغير على العدو وقت الصباح الباكر وهم في غفلة.

﴿فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا ٤﴾ أي: فهيجت الخيل بسبب جريها غبارا مرتفعًا في موضع القتال.

﴿فَوْسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ٥﴾ أي: فصارت الخيل بركبانهن وسطَ جمع الأعداء.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ﴿١٥﴾ هذا جواب القسم، فقد أقسم الله في هذه الآيات بالخليل في عدة من أحوالها على أن الإنسان لكنود أي: لكفوراً لنعم الله عليه، فطبيعة الإنسان أن نفسه لا تسمح بأداء ما عليه من حقوق الله ولعباده، بل طبيعتها الكسل والمنع لما عليها من الحقوق البدنية والمالية إلا من هداه الله، فالإنسان قليل الخير، يتكاسل عن عبادة الله، ويقصر في حقوق عباد الله، لا يشكر الله على نعمه، ولا يستعملها في طاعته، ويعد المصائب، وينسى النعم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٥﴾ [الزخرف: ١٥]. وهذا الخلق السيء يعرض لكل إنسان على درجات متفاوتة، ولا يسلم منه إلا الأنبياء ومن هداهم الله من الصالحين الأتقياء، وهو خلق متأصل في طبيعة الإنسان لا يدفعه إلا أن يحاسب نفسه، ويتقي ربه، أو يذكره غيره فيتذكر ويتوب.

﴿وَلَنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لِشَهِيدٌ﴾ ﴿٧﴾ أي: وإن الإنسان على كفره بنعم الله عليه لشهيد بحاله وأعماله، فعدم شكر الإنسان لنعم الله، وتقصيره في أداء حقوق الله وحقوق عباده ظاهرٌ عليه في أقواله وأفعاله.

والإنسان يحس بذلك من نفسه في خطراته، ويتوانى أو يغفل عن مقاومته؛ لأنه يشتغل بإرضاء نفسه، ويتبع هواه ورغباته، إلا من رحم الله.

﴿وَلَنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ ﴿٨﴾ الخير في هذه الآية هو المال باتفاق المفسرين رحمهم الله، والمال يسمى خيراً، لما يحصل به من الخير الكثير إذا استعمله الإنسان فيما يرضي الله. أي: وإن الإنسان لشديد المحبة للمال. كما قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ أَمْوَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]. فبين الله في هذه الآية أن الإنسان شديد المحبة

للأموال، يجمعها من حلال أو حرام، ويخل بها فلا ينفقها فيما يرضي الله، إلا من وقاه الله شَحَ نفسه، فقتع بالحلال، وأخرج زكاة ماله، وتصدق على المحتاجين، وتقرب إلى الله بفعل الخيرات، ونعم المأل الصالح للرجل الصالح.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمَلٌ فِي الْقُبُورِ ۖ﴾ (٩) أي: أفلا يتيقن الإنسان الكنود لربه، المحب للمال، إذا أخرج الله ما في القبور من الأموات الأولين والآخرين للحساب يوم القيامة، فيخاف عذاب الله، فلا يقصر في طاعة الله، ولا يعصي الله بسبب المال، ويشكر الله على نعمه؟! كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ۖ﴾ (٤) [الانفطار: ٤].

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۖ﴾ (١٠) أي: وميز الله وأظهر ما في قلوب الناس من الإيمان والكفر، والخير والشر، وجازاهم على نياتهم. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نُبْلَى السَّرَائِرِ ۖ﴾ (٩) [الطارق: ٩]. وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۖ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۖ﴾ (١١) أي: إن رب الناس بهم يوم القيامة خبير، لا يخفى عليه شيء من أحوالهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة، وسيجازيهم عليها.

تدبر سورة القارعة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ أي: القيامة التي تفرع قلوب الناس بأهوالها. فالقارعة من أسماء يوم القيامة، عظمه الله، وحذره عباده.

﴿مَا الْقَارِعَةُ ٢﴾ يعني: أي شيء صفة القيامة العظيمة الأهوال؟!

﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣﴾ الخطاب لغير معين، فهو خطاب لكل واحد منا، أي: وما عرفك - أيها الإنسان - بعظم يوم القيامة وأهوالها؟! فأهوالها شديدة لا تخطر على البال، يشيب منها الولدان الصغار الذين ليس عليهم آثام، فكيف بنا؟! كما قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ٧﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ [المزل: ١٧-١٨]، يصيبُ الناس فيها من الكرب والبلاء ما لا يحتملون، وما لا يُطيقون.

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤﴾ أي: يوم القيامة يكون الناس حين يخرجون من قبورهم في انتشارهم وحيرتهم كالفراش المفرق الذي يتساقط في السراج. كما قال تعالى: ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ٧﴾ [القمر: ٧]. وقال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ

حَمَلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾
[الحج: ١-٢].

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ ﴿٥﴾ أي: وتكون الجبال يوم القيامة في خفتها وضعفها وتطايرها كالصوف المندوف الذي يُنفش. كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ ﴿١٠٥﴾ [طه: ١٠٥]. وقال عز وجل: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا﴾ ﴿٦﴾ [الواقعة: ٥-٦].

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿٦﴾ فهو في عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ أي: فأما من ثقلت موازين حسناته، ورجحت على سيئاته فهو في عيشة في الجنة مرضية، قد رضيها المؤمن؛ ففي الجنة من النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ ﴿١٠٨﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨]. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه». وروى مسلم أيضا عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا».

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ أي: وأما من خفت موازين حسناته، ورجحت سيئاته على حسناته فمأواه جهنم البعيدة القعر، يهوي فيها،

وتلازمه كما تلازم الأم ولدها. كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (١٣) [المؤمنون: ١٠٣]. والهاوية من أسماء النار، وقعرها مسافة سبعين سنة كما جاء في الحديث الصحيح، فالنار تحضن الكافر من جميع جوانبه كما تحضن الأم ولدها، وهي مأواه التي يرجع إليها، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠].

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ (١٠) أي: وما عرَّفَكَ - أيها الإنسان - ما الهاوية البعيدة القعر؟! فهو خطاب من الله لكل من يسمع أو يقرأ هذه الآية، يخوفنا الله من النار، حتى لا نكون من أهلها.

﴿نَارُ حَامِيَةٍ﴾ (١١) أي: هي نار شديدة الحرارة، قد بلغت الغاية في شدة الحرارة، فهي النار الكبرى، وهي أشد من نار الدنيا بتسعة وستين مرة. روى الإمامان البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، فَضَلَّتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا».

تدبر سورة التكاثر

هذه السورة فيها عتاب ووعيد من الله لعباده، وهي خطاب من الله لكل واحد منا، وكفى بها موعظة لمن عقلها، فنسأل الله أن يجعلنا من المتقين المهتدين بالقرآن.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَتَكَاثِّرْ ۝١﴾ أي: شغلكم -أيها الناس- عن طاعة الله التكاثر بالأموال والأولاد وغير ذلك من متاع الدنيا الذي تحبونه، وتتفخرون بكثرتيه. قال العلماء: التكاثر هو طلب الإنسان أن يكون أكثر من غيره، والتكاثر مذموم إلا فيما يقرب إلى الله، فيدخل في التكاثر المذموم كل ما يُشغلك عن طاعة الله، ومن ذلك في عصرنا طلب كثرة المعجبين والمتابعين في وسائل التواصل الاجتماعي، فهو من التكاثر المذموم المشغل عن طاعة الله، إلا إن كان يريد صاحبه بذلك الخير، كأن يُعلِّم الناس ما ينفعهم، و «إنما الأعمال بالنيات». فالتكاثر بالدنيا مذموم، كما قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ ۝١٤﴾ [آل عمران: ١٤]. وقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠].

﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ ١ أي: شغلكم التكاثر بالدنيا عن طاعة الله إلى أن متم وصرتم من أهل القبور. فلم تنشغلوا بالدنيا الفانية عن الآخرة الباقية مدةً يسيرة، بل استمرت غفلتكم إلى أن متم، كما قال تعالى معاتباً عباده: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ١١ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ١٢﴾ [الأعلى: ١٦-١٧]. فأكثر الناس في غفلة عن عبادة الله، قد شغلتهم الدنيا عن طاعته، وعن تدبر كتابه وتعلمه واتباعه، كما قال تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدِّثٍ إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴿ [الأنبياء: ١-٣]. وفي قوله: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ ٢ تنبيه على أن الزائر لا بد أن ينتقل عن مزاره، فهو تنبيه على البعث يوم القيامة، ولذلك لا يصح أن يقال عن القبر: المثوى الأخير، بل المثوى الأخير بعد البعث من القبور، فدار القرار والمستقر الجنة أو النار.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْمَوْنَ﴾ ٣ أي: انزجروا - أيها الناس - عن الانشغال بالتكاثر عن طاعة الله، سوف تعلمون بعد موتكم ما يأتيكم من العذاب في القبور وفي الآخرة. قال شيخ المفسرين محمد بن جرير الطبري رحمه الله: (في هذا دليل على عذاب القبر؛ لأن الله تعالى أخبر عن هؤلاء القوم الذين ألهاهم التكاثر أنهم سيعلمون ما يلقون من العذاب إذا زاروا القبور).

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْمَوْنَ﴾ ٤ تهديد بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد، والمعنى: ثم انزجروا عن الانشغال بالتكاثر عن طاعة الله، سوف تعلمون بعد موتكم ما يأتيكم من العذاب في البرزخ والآخرة لانشغالكم بالدنيا عن عبادة الله.

﴿كَلَّا﴾ أي: انزجروا عن الانشغال بالتكاثر عن طاعة الله. وقد تكررت (كلا) في هذه السورة ثلاث مرات، وهي للزجر عن الانشغال بالدنيا عن الآخرة.

﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ أي: لو تعلمون - أيها الناس - علما يقينا أن الله سيبعثكم بعد موتكم، وسيحاسبكم ويجازيكم يوم القيامة على أعمالكم؛ لما ألهتكم الدنيا الفانية عن عبادة الله. روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط، قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا».

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ هذه اللام واقعة في جواب قسم محذوف، أي: أقسم لترون الجحيم يوم القيامة.

كما قال تعالى: ﴿وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾ [النازعات: ٣٦]. فكل الناس حتى المسلمين سيرون جهنم، ويكلفون المرور على الجسر الذي عليها، فيرونها تحتهم، فيتساقط أكثر الناس في الهاوية، ولا يثبت إلا من ثبته الله، كما قال تعالى: ﴿وَأَن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [٧١] ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ [مریم: ٧١-٧٢].

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ أي: ثم أقسم لترون الجحيم يوم القيامة رؤية حقيقية بأبصاركم، ليست رؤية خيالية، ولا منامية.

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (٨) أي: ثم أقسم ليسألنكم الله يوم القيامة عن جميع نعمه التي أنعم بها عليكم في الدنيا من الشراب والطعام والمال والصحة والأمن وغير ذلك، هل شكرتم الله عليها بطاعته أو لم تشكروه؟ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٢٤٣) [البقرة: ٢٤٣]. وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤) [إبراهيم: ٣٤]. روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم أن يُقال له: ألم نُصَحِّحْ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِيكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟». وروى الترمذي أيضا عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق، وعن جسمه فيم أبلاه». وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (٨) قال: (النعيم: صحة الأبدان والأسماع والأبصار، يسأل الله العباد فيم استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦) [الإسراء: ٣٦]). وعن مجاهد قال: (يسألون عن كل شيء من لذة الدنيا). فيجب علينا أن نشكر الله على جميع نعمه، ومن أكل من الطيبات، واستمتع بملذات الدنيا الحلال من غير أن يشكر الله عليها فهو مذموم، والشكر يكون بالقلب واللسان والعمل، فشكر النعمة بالقلب أن تعتقد أنها من عند الله وحده، وشكرها باللسان أن تحمد الله عليها بلسانك، مثل أن تحمد الله بعد الأكل

والشرب، وشكرُ النعم بالعمل أن تستعملها في طاعة الله، ولا تستعينُ بها على المعاصي، فمن عصى الله بأي نعمة فإنه لم يقم بشكرها؛ ولذلك أخبر الله في كتابه أن أكثر الناس لا يشكرون، وأخبر أن الشاكرين قليل.

تدبر سورة العصر

هذه السورة قال عنها بعض العلماء: لو ما تدبر الناس إلا هذه السورة لكفّتهم، فهي سورة عظيمة، وموعظة بليغة، جمع الله فيها الدين كله، وقد أقسم الله فيها قسماً عظيماً لتأكيد خبر مخيف، وهو أن جميع الناس خاسرون، وإلى النار صائرون إلا من اتصف بأربع صفات، فقال سبحانه:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾

العصر هو الزمن، كما يقال: عصر الصحابة أي: زمنهم، والعصر القديم، والعصر الحاضر أي: الزمن القديم والحاضر، أقسم الله بالزمن على أن جميع الناس في خسارة، كل الناس في ضلال وهلاك، كل الناس صائرون إلى جهنم إلا القليل، قال الله سبحانه: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقال عز وجل: ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال سبحانه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴿٢٤﴾﴾. فالناجون من الخسارة قليل، وهم الذين اتصفوا بأربع صفات بينها الله في هذه السورة، وهي:

الصفة الأولى: الإيمان ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَمَّكِبَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]. وفي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة سؤال جبريل عليه السلام، قال للنبي ﷺ: أخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

الصفة الثانية: العمل الصالح، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: وعملوا الأعمال الصالحة بإخلاص لله ومتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام، فالعمل الصالح هو: السالم من الرياء، المقيد بالسنة، فإن كان العمل خالصاً لله، وليس مقيداً بسنة رسول الله فهو بدعة، وليس عملاً صالحاً، وإن كان العمل مقيداً بالسنة، ولكنه غير خالص لله، فهو رياء، وليس عملاً صالحاً، فلا بد لقبول العمل من تحقق الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله، وأعظم الأعمال بعد الشهادتين: إقامة الصلاة، وصوم شهر رمضان، وإيتاء الزكاة، وحج البيت الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً.

الصفة الثالثة: التواصي بالحق، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ أي: وأوصى بعضهم بعضاً بطاعة الله ورسوله، فالدين النصيحة، ومن صفات المؤمنين والمؤمنات: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال الله سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

أُولَئِكَ بَعْضٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴿٧١﴾ [التوبة: ٧١].

الصفة الرابعة: التواصي بالصبر، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ ٢٠ أي: وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله، والصبر عن معصيته، والصبر على أقدار الله المؤلمة، فالصبر ثلاثة أقسام: صبر على الطاعات، وصبر عن المعاصي، وصبر على أقدار الله المؤلمة.

صبر على الطاعات: فالطاعات تحتاج إلى صبر على أدائها كما قال سبحانه: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ٦٥ [مريم: ٦٥].

وصبر عن المعاصي: فالنفس أمارة بالسوء، فعلى المسلم أن ينهى نفسه عن هواها، قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٥١﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ ٥١ [النازعات: ٤٠-٤١].

وصبر على أقدار الله المؤلمة، فالله يتلى عباده بما يشاء كما قال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وهذه السورة تبين أهمية العمل الصالح، فليس الإيمان بالتمني، ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، ومن زعم أنه مؤمن من غير أن يعمل

الصالحات فهو كاذب في إيمانه، فلا بد للنجاة من الخسران أن تجمع بين الإيمان والعمل الصالح. وتأمل هذه الصفات الأربع، فكل صفة تدخل في التي قبلها، وخصها الله بالذكر لأهميتها، فالتواصي بالصبر هو من التواصي بالحق، والتواصي بالحق هو من العمل الصالح، والعمل الصالح هو من الإيمان، فالإيمان اعتقاد وقول وعمل.



تدبر سورة الهمزة

الإسلام دين الأخلاق، وقد بعث الله نبيه محمدا ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح، وقد جاء الوعيد الشديد لمن كان سيئ الأخلاق، ومن ذلك ما جاء في هذه السورة الكريمة:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (١) بدأت هذه السورة بكلمة ويل، وهي كلمة وعيد، وقد ورد في حديث ضعيف: (ويل واد في جهنم)، لكن هذا الحديث لا يصح، فمعنى الآية: عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ ثابتٌ يوم القيامة لمن يطعن في أعراض الناس في غيبتهم، أو في حضورهم. فالهزام يحتقر الناس ويغتاهم من خلف ظهورهم، واللماز يواجههم بكلمة السوء أمامهم، والهمز واللمز من الأخلاق السيئة، ومن صفات المنافقين كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]. وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ [الأحزاب: ١٩].

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ (٢) أي: الذي جمع مالا كثيرا من الحلال والحرام، وأحصى عدده مرة بعد مرة خشية نقصه، فهو لا ينفق منه في طاعة الله سبحانه. كما قال تعالى: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ (١٨) [المعارج: ١٨]. ولا حرج على من يجمع المال من

الحلال، ويخرج زكاته، وينفق منه في طاعة الله، وإنما الإثم على الذي يجمعه من الحرام، أو لا يخرج زكاته كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْزْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ ﴿٣٥﴾ أي: يظن هذا البخيل أن ماله الكثير يخلده في الدنيا لطول أمله، واغتراره بهاله.

﴿كَلَّا لَيُنْبَذَتَ فِي الْحُطْمَةِ﴾ ﴿٣٦﴾ أي: ليس الأمر كما يظن هذا الإنسان أن ماله يخلده في الدنيا، أقسم ليُطرحنَّ يوم القيامة في جهنم التي تحطم وتكسر ما يُلقى فيها.

﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحُطْمَةُ﴾ ﴿٣٧﴾ الخطاب لكل سامع، يعني: وأي شيء أعلمك ما الحطمة؟!

﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ﴾ ﴿٣٨﴾ أي: هي نار الله المسعرة، فالحطمة من أسماء جهنم. كما قال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ ﴿١٤﴾ [الليل: ١٤].

﴿أَلَيْ تَتَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ ﴿٣٩﴾ أي: النار التي تبلغ قلوب الكافرين والمنافقين الذين فيها بعد إحراقها أجسامهم، فألمها وشدة حرها يصل إلى القلوب، ومع ذلك لا يموت الكافر والمنافق في النار كما قال تعالى: ﴿الَّذِي يَصِلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾ [الأعلى: ١٢-١٣].

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۖ﴾ (٨) أي: إن نار جهنم على أهلها الكافرين والمنافقين الذين من صفاتهم الهمز واللمز مغلقة الأبواب، لا يخرجون منها أبدا. كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٣) ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ (٤٤-٤٣: الحجر). وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩] أي: سورها.

﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ (٩) أي: أبواب جهنم مغلقة بأعمدة ممدودة من خلف الأبواب، فلا يتمكن أحد من فتحها والخروج منها، ويُعَذَّب أهل النار بأعمدة طويلة.

تدبر سورة الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١﴾ أصحاب الفيل، هم أبرهة الحبشي ومن معه من نصارى الحبشة الذين احتلوا اليمن قبل الإسلام، وساروا بجيش عظيم معهم فيلٌ ليهدموا الكعبة، فأهلكهم الله بقدرته، وكان ذلك عام مولد النبي ﷺ. والخطاب للرسول ﷺ، وهو وإن لم يشهد تلك الحادثة لكنه شاهد آثارها، وسمع بالتواتر أخبارها، فكأنه رآها، والخطاب وإن كان للنبي ﷺ فهو عام لأمته، أي: ألم تروا ما فعلتُ بأصحاب الفيل الذين أرادوا هدم الكعبة؟

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢﴾ أي: ألم يجعل الله سعيهم في هدم الكعبة وصرف الناس عن الحج إليها في ضلال وضياع؟ فلم يتم مكرهم الذي اجتهدوا في تحقيقه، فقد كان أبرهة بنى كنيسة في صنعاء، وأراد أن يصرف الناس ليحجوا إليها بدل الكعبة، وكان يريد أن ينشر دين النصرانية المحرف بين العرب.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾ أي: وأرسل الله على جيش أبرهة طيوراً كثيرة متفرقة، يتبع بعضها بعضاً، تحمل الحجارة في مناقيرها وأرجلها.

﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤﴾ أي: ترمي تلك الطيور جنود أبرهة بحجارة من طين متحجر فهلكوا.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ أي: فجعل الله أولئك الجنود الذين أرادوا هدم الكعبة مثل زرع أكلته الدوابُ فقطعته ثم راثته. شبه الله تقطع أجسامهم بتفريق أجزاء الزرع حين تأكله الدواب وتقطعه ثم يكون روثا. وفي هذه السورة بيانُ كمالِ قدرة الله، وأنه يبطل كيدَ الكافرين بما شاء، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، وأن النصر من عند الله، وبيانُ حرمةِ مكة المكرمة زادها الله تشريفا وتعظيما.

تدبر سورة قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قريش هم قبيلة النبي محمد ﷺ، فهو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدٍّ بْنِ عَدْنَانَ، وعدنان من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام. وفهر بن مالك بن النضر بن كنانة هو الملقب قريش، وإليه تجتمع أنساب جميع قبيلة قريش، وهم خير القبائل، وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

ومن نعم الله على قريش أن بعث رسوله محمدا عليه الصلاة والسلام منهم، ولكنهم كانوا في أول الإسلام من أشد الناس كفرا برسول الله، فقد كذبوه وآذوه وآذوا أصحابه، وأصروا على الشرك بالله، ولم يؤمن من أهل مكة إلا القليل، وهم الصحابة المهاجرون رضي الله عنهم، فأنزل الله هذه السورة يحث أهل مكة على توحيد الله والإيمان برسوله فقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: اعجبوا لاجتماع قبيلة قريش في بلدهم مكة آمنين، بخلاف غيرهم من قبائل العرب الذين كانوا في

خوف في أوطانهم وفي أسفارهم، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، فكان العرب لا سيما بعد حادثة الفيل يحترمون أهل مكة، ويقولون: قريشُ سكانُ حرم الله، وكانت لقريش رحلتان في كل سنة: رحلة في الشتاء إلى اليمن، ورحلة في الصيف إلى الشام، وكانوا آمنين في سفرهم، لا يعرض لهم قطاعُ الطريق، وكانوا في رغدٍ عيشٍ بسبب هاتين الرحلتين التجاريتين، فذكَّره الله بهذه النعمة ليشكروه ويعبدوه وحده.

﴿إِلَيْهِمْ رِحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ ❶ أي: اجتماعُ قبيلة قريش واعتيادهم كل عام رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام للتجارة.

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ❷ أي: فليوحدوا الله رب الكعبة الذي جعل لهم بسببها خيرا كثيرا في إقامتهم وأسفارهم، وليشكروه بإخلاص العبادة له، ولا يعبدوا غيره.

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ ❸ أي: الله رب الكعبة الذي أطعم قريشا بعد جوعهم، ورزقهم بعد فقرهم، مع كونهم في وادٍ غير ذي زرع، فقد استجاب الله دعاء نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

﴿وَعَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ ❹ أي: وآمن الله قريشا من كل خوف في حضرهم وأسفارهم، فلم يكونوا يخافون كغيرهم من العرب الذين كان يقتل بعضهم بعضا في الجاهلية، ويسلب بعضهم بعضا بالغارات على المقيمين، وقطع الطرق على المسافرين. كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ

شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴿٥٧﴾ [القصص: ٥٧]. فهما نعمتان عظيمتان أنعم الله بهما على قريش،
 نعمة الرزق، ونعمة الأمن، فلم يشكروا الله على هاتين النعمتين، وكفروا بالله
 ورسوله، وحاربوا أصحابه، واضطروهم للخروج من مكة، فسلب الله كفار
 قريش نعمة الرزق ونعمة الأمن، فصاروا في جذبٍ وخوفٍ كما قال تعالى:
 ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ
 مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا
 يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ
 ﴿١١٣﴾﴾ [النحل: ١١٢-١١٣]. وبعد أن فتح الله على رسوله مكة، عفا عن كفار قريش،
 فدخلوا في الإسلام، ووعدهم الله الجنة وإن تأخر إسلامهم، قال تعالى: ﴿لَا
 يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن
 بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠]. ويستفاد من هذه السورة أن من
 أعظم واجبات ولاة الأمر: توفيرُ الغذاء، وتحقيقُ الأمن، فمن أعظم النعم
 الدنيوية: نعمة تيسير الرزق، ونعمة الأمن.

تدبر سورة الماعون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ ١ ﴿الخطاب عام لكل من يتوجه إليه الخطاب، فهو خطاب للنبي ﷺ ولأمته، ومعنى: أرايت أي: أخبرني، فمعنى الآية: أخبرني عن الكافر الذي يُكذِّبُ بالبعث والحساب يوم القيامة، هل هو مصيب أو مخطئ؟! لا شك أنه مخطئٌ أعظمُ الخطأ، وسيخسرُ الخسرانَ العظيمَ حين يبعثه الله ويحاسبه ويعذبه في جهنم. ثم ذكر الله بعض صفات الكافرين الذين لا يطيعون الله، ولا يخافون عذابه، فهم لا يرحمون اليتامى والمساكين، فقال تعالى:

﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ ٢ ﴿أي: فذلك الذي يدفع اليتيم عن حقه بشدة وعنف، ويظلمه ولا يُكرمه. والواجب على المسلم أن يكرم اليتيم الذي مات أبوه وهو صغير لم يبلغ الحلم، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ ٣ ﴿[الضحى: ٩]، وقال عز وجل: ﴿كَأَلَّا بَلَّ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ ٤ ﴿[الفجر: ١٧]. وأكثر من يظلم اليتامى أقاربهم، كالأخ الكبير أو العم أو ابن العم ونحوهم، فيجب الحذر من ظلم اليتامى وأكل حقوقهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ ٥ ﴿[النساء: ١٠]. ومن كان وليا على مال اليتيم فليحذر أن يقربه إلا بالتي هي أحسن، وذلك بأن

ينفق على اليتيم من ماله الذي ورثه من أبيه بالمعروف بلا إسراف، أو يتاجر له في ماله لينمي له، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

﴿وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ﴾ أي: ولا يحث أهله وغيرهم من الناس على إطعام المساكين المحتاجين بخلا بالمال، أو تكذيبا بالجزاء. والواجب على المسلمين أن يترحموا فيما بينهم، وأن يطعموا المساكين، وخير الناس من أطعم الطعام، ومن لم يستطع أن يطعم الناس بماله لفقره فليحض غيره على إطعامهم، وقد ذم الله الذين لا يحضون على إطعام المساكين فقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْضُونَهُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ﴾ [الفجر: ١٨].

﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۖ﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ أي: فعذابٌ شديدٌ للمصلين، الذين يتهاونون في صلاتهم بتركها أحيانا أو بصلاتها في غير أوقاتها أو بعدم الطمأنينة فيها، فهم عن صلاتهم لاهون، لا يحافظون على أدائها في أوقاتها بشروطها وأركانها وواجباتها، ويتشاغلون عنها بغيرها لعدم حرصهم عليها، وهذا من علامات النفاق كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ﴾ [النساء: ١٤٢]. وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ۖ﴾ [التوبة: ٥٤]. وقال عز وجل: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ

فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴿٥٩﴾ [مريم: ٥٩]. فيجب على المسلم أن يُعَظِّمَ قدر الصلاة، وأن يحافظ عليها في أوقاتها، ولا يجوز له تأخير الصلاة عن وقتها، لكن يجوز عند الحاجة أن يجمعَ المسلم بين صلاتي الظهر والعصر في وقت إحداهما، ويجمع بين صلاتي المغرب والعشاء في وقت إحداهما، جمع تقديم أو تأخير، كأن يكون مسافرا أو مريضا أو عند المطر ونحو ذلك من الأعذار، فالمسلم لا يترك الصلاة أبدا ولو كان مسافرا أو مريضا، ويستعين بالصلاة على قضاء حاجاته وتنفيذ مهماته، فهي خير معين على جميع الأمور، كما قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]. وعلى الرجال أن يصلوا الفرائض جماعة في المساجد، كما قال تعالى: ﴿وَأَرْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقال عز وجل: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [٣٦] رَجُلًا لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ [النور: ٣٦-٣٧]. واعلموا - رحمكم الله - أن من يتهاون بصلاته ولو بترك فريضة واحدة فهو فاسق مجرم، وقد توعد الله بالعذاب الأليم، وأما من يترك الصلاة بالكلية فهو كافر، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [٣٩] فِي جَنَّتِ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ [المدثر: ٣٩-٤٣]، وعن بُريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» رواه الترمذي وصححه. ولم يكن أصحابُ النبي ﷺ يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة. قال ابن القيم رحمه الله في كتابه الصلاة: "لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمدا

من أعظم الذنوب، وأكبر الكبائر، وأن إثمه عند الله أعظم من إثم قتل النفس، وأخذ الأموال، ومن إثم الزنا، والسرقه، وشرب الخمر، وأنه متعرض لعقوبة الله وسخطه، وخزيه في الدنيا والآخرة". فالله خلقنا لعبده ونصلي له، ولا ينفع في الإيمان التصديق من غير عمل صالح، فإبليس حين ترك الامتثال لأمر الله بالسجود لآدم، لعنه الله وغضب عليه لتركه طاعته، مع تصديقه بالله، وبالبعث يوم القيامة، فما بالكم بمن يترك السجود لله، ويصُرُّ على التهاون بإقامة الصلاة وهي عمود الإسلام؟! فحافظوا على الصلوات في أوقاتها، فهي أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة، ومن أعظم صفات المؤمنين أنهم على صلاتهم يحافظون، وأنهم على صلاتهم دائمون، في الجمعة وغير الجمعة، في رمضان وغير رمضان، في السراء والضراء.

﴿الَّذِينَ هُمْ يُرْءَوْنَ ۖ﴾ أي: الذين هم يراءون الناس بصلاتهم إذا صلوا أمامهم، ولا يصلون مخلصين لله سبحانه. أما المسلم المخلص فهو يصلي لله حتى ولو تركها جميع الناس من حوله، فهو محافظ عليها في أوقاتها، ولا يبالي بالناس، سواء صلوا أو لم يصلوا، فهو يصلي لله في جميع أحواله أينما كان.

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۖ﴾ ذكر المفسرون قولين في معنى الماعون: القول الأول: الماعون الزكاة، والقول الثاني: الماعون ما يتعاوره الناس بينهم، وكلا القولين صحيح، فالقاعدة في التفسير: أن الآية إذا احتملت معنيين صحيحين أو أكثر تفسر الآية بجميع تلك المعاني، وهذا من عظمة القرآن، فهو حَمَلٌ أوجه،

فمعنى هذه الآية: ويمنعون الزكاة، ويمنعون ما يتعاوره الناس بينهم مما يبذله الناس بعضهم لبعض كالماء والملح والقدر والفأس والإبرة ونحو ذلك. فالمسلم يجب أن ينفع المسلمين بما يستطيع، فهو يخرج زكاة ماله طيبة بها نفسه، ويتصدق على المساكين ويعينهم، ويفرح بأن يعين الناس بإعارتهم ما ينتفعون به من متاع البيت ونحو ذلك، فكل معروف صدقة. اللهم اجعلنا من المقيمي الصلاة، ومن المنفقين أموالهم ابتغاء مرضاة الله. واهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

تدبر سورة الكوثر

هذه السورة أقصر سورة في القرآن، وهي سورة مكية كما قال أكثر أهل العلم، والسور المكية هي التي أنزلت قبل الهجرة، وأما السور المدنية فهي التي أنزلت بعد الهجرة، وقال بعض العلماء: هي سورة مدنية، فبعض السور اختلف أهل العلم في كونها مكية أو مدنية، مثل سورة الكوثر، واعلم بارك الله فيك أن أكثر سور القرآن مكية، والسور المدنية أقل عدداً، وهذه فوائد مهمة لتيسير معرفة السور المكية والمدنية بحسب ترتيب المصحف:

١ - سورة الفاتحة مكية.

٢ - والسبع الطوال هي: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والتوبة، كلها سور مدنية ما عدا سورتي الأنعام والأعراف فمكيتان، وسورة الأنفال موضعها في ترتيب المصحف قبل سورة التوبة، وهي تتعلق بغزوة بدر، فهي سورة مدنية بلا إشكال.

٣ - وما بعد السور السبع الطوال إلى آخر الحواميم كله مكي ما عدا سورتي النور والأحزاب فمدنيتان، وسورة النور لا يخفى كونها مدنية، ففيها ذكر براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكذلك سورة الأحزاب لا يخفى كونها مدنية،

ففيها ذكر أمهات المؤمنين، وفيها ذكر غزوة الأحزاب والحث على الجهاد، مما يدل على أنها سورة مدنية، والحواميم سبع سور تبدأ بحم، وهي: سورة غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجناثية والأحقاف، وكلها سورٌ مكية.

٤- واعلم أن كل سورة تبدأ بحروف مقطعة مثل حم وألم وطه ويس ونون وق وغيرها فهي سور مكية، ما عدا سورتي البقرة وآل عمران فهما مدنيتان كما تقدم.

٥- وبعد الحواميم تأتي السور الثلاث المتتالية: محمد والفتح والحجرات، وهي سور مدنية، كلها ذُكر فيها الجهاد، والجهاد إنما شُرع في المدينة بعد الهجرة.

٦- وأول المفصل من سورة ق إلى سورة الواقعة سورٌ مكية.

٧- وسورة الحديد مع جزء المجادلة كله سورٌ مدنية.

٨- وجزء تبارك كله مكي.

٩- وجزء عمّ كله مكيّ ما عدا سورة البينة والنصر والفلق والناس، على خلاف في بعضها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول الله تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^① أي: إنا أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك نهر في الجنة اسمه الكوثر، جاء وصفه في الأحاديث الصحيحة بأنه أحلى من العسل، وأبيض من اللبن، وطيبه المسك، وحافته قباب اللؤلؤ، وحصاه اللؤلؤ، وشاطئاه عليه درّ مجوف، وآنيته عددُ النجوم. ومن تلك الأحاديث: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ سورة الكوثر ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير». أخرج هذا الحديث مسلمٌ في صحيحه، وقد رواه عن أنس جماعةٌ من أصحابه، وتفرد راوٍ من أصحاب أنسٍ بذكر أن هذه السورة نزلت في المدينة، وأحفظُ أصحاب أنسٍ كقتادة وثابت البناني لم يذكروا في هذا الحديث نزولها في المدينة؛ ولهذا اختلف العلماء في كونها سورةً مدنيةً أو مكية، والله أعلم.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾^② أي: فصل - يا رسول الله - الصلوات الفريضة والنافلة مخلصاً لربك، وانحر له الأضاحي لإطعام المساكين؛ شكراً لله على نعمته عليك، وتقرباً إليه. فأمره الله أن يجمع بين عبادة الصلاة، وعبادة الذبح لله لإطعام الناس، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^③ [الأنعام: ١٦٢]. والنحر يكون بطعن البعير في لَبَتِهِ أسفل عُنُقِهِ، فالنحر يختص

بالإبل، والذبيح للبقر والغنم، وقد ذكر الله النحر في هذه الآية؛ لأن الإبل أنفع من غيرها لإطعام المساكين؛ لكثرة لحمها.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (٣) أي: إن مبغضك - يا نبي الله - ومبغض الحق الذي جئت به هو الحقير الذليل، المنقطع من كل خير، الذي لا يُذكر إلا بالسوء. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ (٢٠) [المجادلة: ٢٠]. فكل من أبغض الرسول وعاداه في أي زمانٍ ومكانٍ فإنه حقيرٌ ذليل، ومنقطعٌ من كل خير، ويمحقُ الله حياته، ولا يُذكر إلا بالسوء، كصناديد قريش الذين أبغضوا النبي ﷺ وعادوه، فقطع الله دابرهم، ومحق أثرهم، وهكذا من يُبغضون النبي عليه الصلاة والسلام في زماننا، ويسخرون منه، وينشرون الرسومات المسيئة له، فهم منقطعون من كل خير، وإن لم يتوبوا فسيهلكهم الله، والله يمهّل ولا يمهّل. ولماذا يبغضون النبي عليه الصلاة والسلام الذي أرسله الله رحمة للعالمين؟ فشريعته ﷺ كلّها رحمة، ودعوته رحمة، وأقواله رحمة، وأفعاله رحمة، وكل ما أمر به النبي عليه الصلاة والسلام وجوباً أو استحباباً ففعله رحمة، وكل ما نهى عنه تحريماً أو تنزيهاً فتركه رحمة. جاء النبي ﷺ بالرحمة بالناس عموماً الرجال والنساء، والكبار والصغار، والأقارب والأباعد، والأغنياء والفقراء، والأقوياء والضعفاء، والولاة والرعية، والأحرار والعبيد، والمسلمين والكافرين. جاء النبي ﷺ بالرحمة بالبشرية كلّها في الدنيا والآخرة، يحذرهم من نار الجحيم، ويدعوهم إلى طريق جنة النعيم، فمن أطاعه فقد اهتدى، ومن عصاه فقد غوى. وما لهم لا يؤمنون بالنبي محمد ﷺ وهو أكثر الرسل معجزةً، وأظهرهم برهاناً،

وقد جمع بعض العلماء معجزاته ودلائل نبوته فبلغت أكثر من ألف وأربع مائة معجزة، فمن معجزاته ودلائل نبوته:

حادثة انشقاق القمر، التي وقعت في مكة قبل الهجرة، قال الله سبحانه: «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ» [القمر: ١-٣]، وقد رأى ذلك كفار قريش وادعوا أنه سحر، ثم أسلم كثير منهم، فلو لم يكونوا رأوا انشقاق القمر لما آمنوا بالقرآن الذي يُثبت انشقاقه. ومن معجزاته: الإسراء من مكة إلى بيت المقدس، والمعراج إلى السماء السابعة، كل ذلك في ليلة واحدة! ومن ذلك: تكثير الطعام القليل حتى يكفي المئات، وقد وقع هذا أكثر من مرة. ومن ذلك: نبع الماء من بين أصابعه، وقد وقع هذا أكثر من مرة حضراً وسفراً. ومن ذلك: أن النبي ﷺ كان يخطب إلى جذع في مسجده، فلما صُنع له منبرٌ صعد عليه، فحنّ الجذع وصاح صياح الصبي فضمه النبي ﷺ إليه حتى سكت، وسمع ذلك كل من في المسجد. ومن ذلك: استجابة الله دعاءه في أمور شتى، مثل سؤاله الله إنزال المطر، فينزل المطر بإذن الله بعد دعائه مباشرة. ومن ذلك: إبراء كثير من المرضى على يديه في قصص كثيرة معروفة في الأحاديث الصحيحة. ومن ذلك: ما أطلعه الله من الغيوب وما يكون، فقد أخبر أصحابه ووعدهم بفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق، وأخبر بفتح خيبر على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في غد يومه، وغير ذلك مما وقع كما أخبر به. ومن ذلك: آثار الرسول ﷺ في البشرية، فقد أخرج المسلمين من الظلمات إلى النور، وزكاهم حتى صاروا خير أمة أُخرجت

للناس حين آمنوا به واتبعوه. ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام سيرته المشرقة، فمن قرأها وتأملها علم أنها سيرة نبي كريم. ومن أعظم معجزاته عليه الصلاة والسلام القرآن الكريم، وهو معجزته الخالدة، التي لا يستطيع الإنس والجن أن يأتوا بمثله، أخباره صادقة، وأحكامه عادلة، وبركاته كثيرة، فهو خير الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه، والعلم به أفضل العلوم، بين الله فيه كل ما يحتاج إليه المسلمون في كل زمانٍ ومكان، فهو يهديهم إن اتبعوه للتي هي أقوم في جميع أمورهم الدينية والدنيوية، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فكل ما يحتاج الناس إليه بينه الله في كتابه العظيم نصًّا أو دلالة أو استنباطًا، علمه من علمه، وجهله من جهله، فهو موعظة للمتقين، وشفاء لما في صدور المتدبرين، وهدى ورحمة للمؤمنين، لا تنقضي عجائبه، ولا تُحصى فوائده.

تدبر سورة الكافرون

هذه السورة كان النبي ﷺ يكثر من قراءتها في صلاته النافلة مع سورة الإخلاص، في أول النهار، وفي أول الليل، وفي صلاة الوتر، فكان يقرأها في ركعتي الفجر قبل الفريضة، وفي الركعتين بعد صلاة المغرب، وفي صلاة الوتر. وهذه السورة فيها براءة من جميع الكافرين، من اليهود والنصارى وسائر المشركين على اختلاف أديانهم الباطلة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾﴾ هذا أمر من الله لنبیه ولجميع أمته، أي: قل لجميع الكافرين من اليهود والنصارى وسائر المشركين: يا أيها الكافرون بالله وبرسوله وبما أنزل في كتابه اسمعوا تبرؤي منكم ومن كفركم. وهو خطاب للكفار كلهم، من مضى منهم ومن سيأتي منهم إلى يوم القيامة. ويؤخذ من هذا الخطاب مشروعية الصراحة والوضوح في العقيدة، وعدم مداينة الكافرين حتى في حال الاستضعاف، فهذه السورة مكية، ومع هذا أمر الله نبيه أن يبين لأهل مكة أنهم كفار، ويتبرأ منهم ومن دينهم، وهكذا يجب على المسلم أن يعلن عقيدته ودينه، ويتبرأ من جميع الكافرين. وفي هذا أهمية تسمية الأمور بمسمياتها الصحيحة، فلا يجوز ترك تسمية الكافر كافراً، فمن الجهل العظيم أن يتحرج

المسلم من وصف الكافرين بالكفر كما ساءهم الله في كتابه، فهم يكفرون بالله فلا يعبدونه وحده، ويكفرون برسوله فلا يصدقونه ولا يطيعونه، ويكفرون بالقرآن فلا يؤمنون أنه من عند الله، ولا يتبعونه، ومن كان يريد الخير للكافر فليدعه إلى الإسلام، وليبلغه كتاب الله، وليخوفه من عذاب الله.

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (٢) أي: يا أيها الكافرون أنا الآن لا أعبد ما تعبدون من آلهة باطلة، لا تستحق العبادة.

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (٣) أي: ولا أنتم - أيها الكافرون ما دتم مصرين على ضلالكم - عابدون الله الواحد الذي أعبدته، المتصف بصفات الكمال سبحانه.

﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ (٤) أي: ولا أنا في المستقبل عابدٌ ما عبدتم - أيها الكافرون - من الآلهة الباطلة، فأنا متبرؤ من آلهتكم وعبادتكم الباطلة، ولا أقبلها أبدا ما حييت، لا في الحاضر ولا في المستقبل.

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (٥) أي: ولا أنتم - أيها الكافرون ما دتم مصرين على ضلالكم - عابدون الله الذي أعبدته. فاليهود لا يعبدون الله المتصف بصفات الكمال، بل يعبدون إلهًا يصفونه بالنقائص والعيوب كالتعب والاستراحة يوم السبت وغير ذلك من صفات النقص التي لا تليق بالله العظيم، والنصارى يعبدون إلهًا يصفونه بأن له ولدا وصاحبة، وأنه ثالث ثلاثة، والمشركون يعبدون أصناما وغيرها، فكلهم لا يعبدون الله سبحانه بما شرع لعباده.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ٦ أي: لكم - أيها الكافرون - دينكم، وهو الكفر، ولي ديني وهو الإسلام، وسيجازي الله كلا منا على دينه وعمله، ومعنى الإسلام: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٥١ [يونس: ٤١]. وقال سبحانه: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ ٨٤ [الإسراء: ٨٤]. وليس في هذه الآية الرضا بدين الكفار كما يظنه بعض الملحدين، بل فيها البراءة من دينهم الباطل، وبيان أنه لا يضر المسلم أعمال الكافرين إذا تبرأ منها، فيجب أن نتبرأ من دين اليهود والنصارى وجميع المشركين في كل وقت وحين، والبراءة من المشركين هو منهج جميع الأنبياء، كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [المتحنة: ٤].

ربنا لا تجعلنا فتنه للذين كفروا، واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم. ربنا لا تجعلنا فتنه للقوم الظالمين، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين.

تدبر سورة النصر

سورة النصر هي آخر سورة قصيرة أنزلها الله على رسوله عليه الصلاة والسلام، وأما آخر سورة طويلة أنزلها الله على رسوله فهي سورة التوبة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ أي: إذا جاء نصر الله بمعونة المؤمنين على الكافرين، وتحقق فتح مكة، وكان فتحها في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة. وقد كانت قبائل العرب تنتظر بإسلامها فتح مكة، ويقولون: إن ظهر محمدٌ على قومه فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجا، فلم تمض سستان حتى أسلم معظم أهل الجزيرة العربية. وفي هذه الآية بيان أن النصر من عند الله، ينصر من يشاء، في الوقت الذي يشاء. وفي هذه الآية التفريق بين النصر والفتح، فالنصر قد يكون من غير فتح لبلاد الكافرين، كنصر المسلمين في غزوة بدر، وقد يكون النصر مع الفتح، وهو أكمل، كما حصل في فتح مكة. وقد ذكر الله بعد هذه الآية دخول الناس في دين الله أفواجا، فيؤخذ منه أن النصر سببٌ لفتح بلاد الكافرين، وأن الفتح سببٌ لدخول الناس في دين الله أفواجا.

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ أي: ورأيت - يا رسول الله - قبائل العرب يدخلون في دين الإسلام جماعات كثيرة، فبعد أن كان يسلم الواحد والاثنان، صار يسلم المئات والألوف، وفي عام تسعة من الهجرة

جاءت وفود القبائل العربية إلى المدينة النبوية يخبرون الرسول بإسلام أقوامهم، وفي سنة عشر من الهجرة حج مع النبي ﷺ حجة الوداع نحو مائة ألف من الصحابة رضي الله عنهم. وقد أخبر الله أن جميع الصحابة السابقين واللاحقين من أهل الجنة فقال في كتابه: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠]. روى أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ﴿١﴾ قال النبي ﷺ: «أتاكم أهل اليمن، هم أرق قلوبا، الإيمان يمان، الفقه يمان، الحكمة يمانية». وقد اختلف العلماء في وقت نزول سورة النصر، ف قيل: نزلت بعد غزوة خيبر في السنة السابعة للهجرة، وكان أول مجيء أهل اليمن إلى المدينة بعد غزوة خيبر، حين جاء أبو موسى الأشعري وأصحابه، وكذلك أبو هريرة رضي الله عنهم، وقيل: نزلت هذه السورة بعد فتح مكة، والله أعلم. والإسلام هو دين الله الذي شرعه لعباده، فليس الإسلام دينا مبتدعا من آراء البشر، بل هو دين الله الذي أرسل به رسوله محمدا ﷺ، والدخول فيه أمان من الضلال والعذاب.

ثم قال الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ أي: فانه ربك عن النقائص بتسبيحه في الصلاة وفي غير الصلاة، مع الثناء عليه وشكره على نعمه، واطلب منه ستر ذنوبك، واستعد للقاءه بعد انتهائك من تبليغ الناس ما أرسلك الله به من دينه. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعد نزول هذه السورة كان يكثر أن يقول في ركوعه

وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي». فكان يجمع بين تسبيح الله بحمده واستغفاره كما أمره الله.

﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ٢ أي: إن الله كان ولم يزل كثير التوبة على عباده التائبين المطيعين، يرحمهم، ويقبل توبتهم. فمن أساء الله الحسنى: التواب، فمن تاب تاب الله عليه، وبَدَّلَ سيئاته حسنات برحمته وكرمه، قال الله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ٧٠ [الفرقان: ٧٠]. وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥]. وقال الله عن عباده المتقين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ١٣٥ ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنَعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ ١٣٦ ﴿آل عمران: ١٣٥-١٣٦]. والله يفرح بتوبة عبده كما أخبر بذلك النبي عليه الصلاة والسلام. والتوبة واجبة على كل مسلم من كل ذنب، والذنب إما أن يكون بترك واجب، أو بفعل محرم، فعلى المسلم أن يتوب من التقصير في الواجبات، ومن الوقوع في المحرمات، ومن لم يتب فقد عرَّضَ نفسه لعذاب الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ١١ [الحجرات: ١١].

قال العلماء: إن كانت المعصية بين العبد وبين الله لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

- ١ - أن يقلع عن المعصية.
- ٢ - أن يندم على فعلها.
- ٣ - أن يعزم على أن لا يعود إليها أبداً.

وإذا كان الذنب يتعلق بحق آدمي فيزاد شرط رابع لتصح توبته، وهو: أن يبرأ من حق صاحبه، فإن كان مالا مسروقاً أو مغصوباً رده إليه، وإن كان غيبة استحله منها، وإن لم يمكنه استغفر له، ودعا له، وأثنى عليه عند الناس الذين اغتابه عندهم. ويجب على المسلم أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب، وبقي عليه أن يتوب من الذنوب الأخرى، قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. فالتوبة سبب للفلاح في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَأَن أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَّعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: ٣].

اللهم وفقنا للتوبة النصوح، وحبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين. اللهم اجعلنا من الذين إذا أعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا أذنبوا استغفروا.

تدبر سورة المسد

روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خرج يوماً في مكة فصعد إلى الجبل فنادى قريشاً، فلما اجتمعوا قال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟! تبا لك، فأنزل الله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ إلى آخرها، فهي من أوائل السور المكية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ أبو لهب هو عم النبي ﷺ، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب، وقد أدرك بعثة النبي ﷺ أربعة من أعمامه، فأسلم اثنين، وكفر اثنين، أسلم حمزة والعباس رضي الله عنهما، وكفر أبو لهب وأبو طالب، وكان أبو طالب يحمي النبي ﷺ من كفار قريش، ويدافع عنه، ولكنه لم يسلم، أما أبو لهب فكان شديد الكفر والعداوة للنبي ﷺ، وفي هذا عبرة لمن يعاديه بعض أقاربه، فعليه أن يصبر كما صبر النبي ﷺ على عمه. روى ابن أبي شيبة عن طارق المحاربي رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز، وهو ينادي بأعلى صوته: «أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»، وعمه أبو لهب يتبعه بالحجارة، قد أدمى كعبيه، وهو يقول: يا أيها الناس، لا تطيعوه؛ فإنه كذاب. ومعنى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي: خسرت يدا أبي لهب، وهذا دعاء عليه، وقوله: ﴿وَتَبَّ ۝١﴾ أي: وقد خسر وشقي لكفره بالله ورسوله، وهذا خبر بأن أبا لهب قد خس.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۖ﴾ (٢) يعني: أيُّ شيء دفع عنه ماله والذي كسبه من الأولاد والجاه والأموال إذا مات على كفره؟! كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ (١١) [الليل: ١١]، فمن كان كافرا، وتمتع في الدنيا سنين، فحين يموت يخسر الدنيا والآخرة، فالله قد يعطي الكافر الأموال والأولاد استدراجا له، ولتكثر آثامه كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۖ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ۚ﴾ (٣٦) ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ۚ﴾ (٣٧) [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧].

﴿سَيَصِلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ (٣) أي: سيدخل أبو لهب نارا عظيمة الاشتعال، شديدة الإحراق، تحيط به من جميع جوانبه.

﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ (٤) امرأة أبي لهب هي أم جميل أروى بنت حرب، وكانت تمشي بين الناس بالنميمة، والنميمة من كبائر الذنوب، وهي نقل الكلام بين الناس للإفساد بينهم. قال الله سبحانه: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ (٤) أي: وستدخل النار أيضا زوجته التي كانت تمشي بين الناس بالنميمة، وتوقد بينهم العداوات بسبب ما تنقله إليهم من الكلام. هكذا فسر الآية بعض المفسرين، وقال بعضهم: كانت تحمل الشوك فتلقيه على طريق النبي الله ﷺ، ولا مانع من صحة القولين، فتكون قد جمعت بين هاتين السيئتين: المشي بين الناس بالنميمة، ورمي الحطب والشوك في طريق النبي عليه الصلاة والسلام، ولعل القول الأول أصح، والله أعلم، فقد ذكر علماء اللغة والتفسير أن العرب يقولون: فلان يحطب على فلان إذا نم به، ومنه قول الشاعر:

إِنَّ بَنِي الْأَدْرَمِ حَمَلُوا الْحَطَبَ ... هُمْ الْوُشَاةُ فِي الرِّضَا وَفِي الْغَضَبِ

قال العلماء: في هذه السورة معجزة ظاهرة للنبي ﷺ، ودليل من دلائل نبوته، فقد أخبر الله عن أبي لهب وامرأته أنها من أهل النار، ولم يؤمنا فعلا حتى ماتا. وفي هذه السورة دليل على الإيمان بالقضاء والقدر، فقد علم الله موتها على الكفر، وأنها من أهل النار، وكتب ذلك في كتابه، فالله يعلم ما سيعمل عباده، لا يخفى عليه شيء من الماضي ولا من المستقبل، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [١٩: محمد] أي: يعلم متقلبكم في الدنيا، ويعلم مثواكم في الآخرة في الجنة أو في النار.

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [٥: أي: في عنق امرأة أبي لهب حبل غليظ شديد تُعَذَّبُ به في نار جهنم. وهذه السورة تبين أن الأنساب لا تنفع عند الله، فأبو لهب من أهل النار مع كونه عمَّ النبي ﷺ، فميزان التفاضل عند الله التقوى، كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقد أخبرنا الله في كتابه أن ابن نوح الذي كفر وأبى أن يركب مع المؤمنين السفينة من أهل النار، وكذلك أزر أبو النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام من أهل النار، وقال الله سبحانه عن إبراهيم: ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٣]، فبعض ذرية الأنبياء محسنون، وبعضهم ظالمون، فالعبرة عند الله بالأعمال لا بالأنساب، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [١١:]

[المؤمنون: ١٠١]، وقال النبي ﷺ: «من بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه» رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

اللهم فقهنا في الدين، وعلمنا تفسير كتابك الكريم، وسنة نبيك عليه الصلاة والتسليم.



تدبر سورة الإخلاص

هذه السورة لها فضل عظيم، فهي تعدل ثلث القرآن كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ، ومعنى كونها ثلث القرآن أن أجر تلاوتها يعدل أجر تلاوة ثلث القرآن، لكن من قرأ ثلث القرآن فله أجر مضاعف، فمن قرأ ثلث القرآن يعني عشرة أجزاء من القرآن أكثر أجراً ممن قرأ سورة الإخلاص مرة واحدة من جهة التضعيف، وقراءة سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن من غير تضعيف، وقال بعض العلماء: القرآن كله ثلاثة أقسام، توحيد وأحكام وجزاء، فهو إما آيات في توحيد الله، وإما آيات في بيان الأحكام من الحلال والحرام، وإما آيات في ذكر الوعد والوعيد في الآخرة، وسورة قل هو الله أحد كلها في التوحيد، فهي ثلث القرآن من هذه الجهة، والله أعلم. وهذه السورة لها سبب نزول، فقد ذكر بعض المفسرين من الصحابة والتابعين أن مشركي قريش سألوا النبي ﷺ عن ربه، ما هو؟ فأنزل الله هذه السورة الكريمة. وسور القرآن منها ما له سبب نزول، ومنها ما نزل ابتداء من غير سبب، وأكثر سور القرآن ليس لها سبب نزول خاص.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ أي: قل - يا رسول الله - للمشركين السائلين عن صفة الله: هو الله المستحق للعبادة وحده، المتفرد بالوحدانية في ذاته وصفاته.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أي: الله الكامل في صفاته، المقصود في حاجات عباده. فالصمد من الأسماء الحسنى، وله معنيان: المعنى الأول: الكامل في صفاته، فالله هو السيد الكامل في جميع صفاته، فهو السميع الذي كمل في سمعه، البصير الذي كمل في بصره، العليم الذي كمل في علمه، الحكيم الذي كمل في حكمته، وهكذا سائر صفاته، فكل صفة من صفاته بالغة الغاية في الكمال والعظمة، والمعنى الثاني: المقصود في حاجات عباده، فهو الذي يقصده العباد في قضاء حاجاتهم.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي: الله لم يلد ولدا من الإنس والجن والملائكة، لا عيسى، ولا غيره، والله لم يلد له والد، فليس له أب ولا أم، فهو الأول قبل خلقه، والآخر الدائم الذي لا يموت سبحانه. وفي هذا ردُّ على النصارى الذين يعتقدون أن عيسى ابن الله، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. قال الله سبحانه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخُزُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ ﴿٩١﴾ ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ ﴿٩٥﴾ [مريم: ٨٨-٩٥]. وقال عز وجل: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]. وقال تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي: وليس لله أحد مثيلا له في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [الشورى: ١١]. فالله لا يماثله شيء من مخلوقاته، وكل ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك، ولا يجوز تخيل كيفية صفات الله، فنحن لا نعلم كيفية الروح التي خلقها الله فينا، ولا نعلم كيفية نعيم الجنة وعذاب النار، ولا كيفية الملائكة، وهي أشياء مخلوقة، فمن باب أولى لا نعلم كيفية صفات الخالق سبحانه، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ﴿١٣﴾ [طه: ١١٠]، فلا نحيط علما بذاته، ولا بصفاته، سبحانه لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا صاحبة له، ولا شريك له، هو الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخريته انقضاء، يعتبر المتفكرون بمخلوقاته، ولا يتفكرون في ذاته، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

تدبر سورة الفلق

جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ سحره رجلٌ من اليهود اسمه لبيد بن الأعصم، فمرض النبي ﷺ، فأتاه جبريل، وأخبره بأن السحر موضوع في بئر في المدينة، فأمر النبي ﷺ بإخراج السحر منها، وحل عُقْدَه، وشفاه الله سبحانه. رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، ورواه أحمد في مسنده من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه. وليس في هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يقول شيئاً ولا يريد قوله، أو ينسب إلى الدين ما لم يأمر به الله، ولم يستمر هذا السحر طويلاً، فقد دعا النبي ربه كثيراً حتى شفاه، ولا يوجد دليل يمنع من إمكان وقوع السحر بالنبي عليه الصلاة والسلام وغيره من الأنبياء، بل يوجد دليل في القرآن الكريم على أن النبي موسى عليه الصلاة والسلام سُحِرَ، قال الله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعَصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾﴾ [طه: ٦٦-٦٨].

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ أي: قل متعوذا بالله وحده: أستجير بخالق الصبح، فالفلق هو الصبح، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا أَالِصْبَاحُ﴾ [الأنعام: ٩٦]. وهذا الخطاب للنبي ﷺ ولجميع أمته.

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ أي: أعوذ بالله رب الفلق من شر كل مخلوق فيه شر، من الإنس والجن والحيوانات والأمراض والأوبئة والرياح والصواعق ونار الدنيا ونار جهنم، ومن كل مخلوق فيه شر في الدنيا والآخرة. وهذه الآية دالة على أن الله سبحانه خالق كل شيء من الخير والشر، كما قال سبحانه: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، فالله يخلق الشر لحكمة، كما خلق إبليس لاختبار عباده، وكما يخلق الأمراض لحكم كثيرة، منها: أنها سبب لموت كثير من الناس، حتى يخلف الناس بعضهم بعضا في هذه الدنيا، فلو بقي جميع الناس أحياء من وقت آدم عليه الصلاة والسلام لضاقت الأرض بأهلها، ومنها: أن الأمراض تطهير للمؤمنين من الذنوب، وسبب لتوبة كثير من الغافلين، ومنها: أن في الأمراض منفعة لكثير من الناس، فمصائب قوم عند قوم فوائد، فالأمراض سبب لتحصيل أرزاق الأطباء والصيدلة وغيرهم، والله أحكم الحاكمين. وفي صحيح مسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في دعائه: «والشر ليس إليك»، قال العلماء في شرح هذا الحديث: فيه الإرشاد إلى الأدب في الثناء على الله بأن يضاف إليه محاسن الأمور دون مساوئها، ومعنى قوله: (والشر ليس إليك) أي: لا يتقرب به إليك، وقيل: معناه: والشر لا يصعد إليك، إنما يصعد إلى الله الكلم الطيب والعمل الصالح، وقيل: معناه: والشر ليس شرا بالنسبة إليك، فإنك خلقتة بحكمة بالغة، وإنما هو شر بالنسبة إلى المخلوقين.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ أي: وأعوذ بالله من شر الليل إذا دخل، فيشرع لنا الاستعاذة بالله من شر الليل، فالشرور تقع في الليل أكثر من النهار،

ففي الليل تنتشر الشياطين، وتخرج كثير من الحيوانات المؤذية كالحيات والعقارب والسباع، وتكثر السرقات والحرائق.

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أي: وأعوذ بالله من شر الساحرات اللاتي ينفخن في عقد الخيوط بقصد السحر. فالساحر يأخذ خيطاً، ولا يزال يقرأ فيه أسماء الشياطين وغير ذلك من الطلاسم، ويعقد على الخيط عقدة بعد عقدة، وينفث ويتفل في تلك العقد، وقد يؤثر سحره في المسحور مرضاً أو جنوناً أو تفريقاً بين المرء وزوجه كما قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]. فالسحر له حقيقة، وهو نوعان: سحر تأثير، وسحر تخيل، فأمرنا الله بالاستعاذة من السحر والسحرة، سواء كان سحرهم يؤثر في المسحور بمرض أو غير ذلك، أو كان سحرهم تخيلاً، فلا يدفع عنا شر السحرة إلا الله وحده. وقراءة هذه السورة مع سورة الناس من أعظم أسباب الحفظ من شر شياطين الإنس والجن، فما تعوذ الناس بأفضل منهما. وقد خص الله ذكر ﴿النَّفَّاثَاتِ﴾ دون النفاثين؛ لأن غالب من يستعمل السحر النساء، وقال بعض المفسرين: ﴿النَّفَّاثَاتِ﴾ يعني الأنفس النفاثات، فيشمل السحرة من الرجال، والساحرات من النساء.

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ أي: وأعوذ بالله من شر كل حاسد من الإنس والجن إذا حسد صاحب النعمة وأراده بسوء بقوله أو بفعله أو بعينه الخبيثة، والحاسد هو الذي يتمنى زوال نعمة الله عن المحسود. وشر الحاسد إنما

يقع إذا أظهر حسده وأعماله، فحينئذ يضر بقوله أو بفعله أو بإصابته بالعين، فإن العين حق، كما جاء في الأحاديث الصحيحة، وعين الحاسد قد تمرض الإنسان أو تقتله أو تتلف ما معه من مال ومتاع، فأمرنا الله أن نستعيذ به من شر الحاسد إذا حسد. فما أعظم هذه السورة التي هي حرز عظيم من جميع الشرور!

ويستحب الإكثار من قراءة هذه السورة، لا سيما في أول النهار وآخره، وبعد كل الصلوات الخمس، وعند النوم، روى البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات. وروى أبو داود عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: (أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات دبر كل صلاة).

تدبر سورة الناس

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١﴾ أي: قل متعوذا بالله وحده: أستجير بخالق الناس ومالكهم ومدبر أمورهم. فيجب علينا أن نستعبد بالله وحده، كما قال تعالى: ﴿فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ٥٦﴾ [غافر: ٥٦]، ولا يجوز الاستعاذة بغير الله، فبعض الناس يستعمل الحروز والتهايم للاستعاذة بها، فيعلقها على نفسه أو أولاده أو على سيارته أو بيته أو على بعض الأنعام، ويعتقد أنها تدفع الشر، وهذا من الشرك، فلا يدفع الضرر عنا إلا الله سبحانه.

﴿مَلِكِ النَّاسِ ٢﴾ أي: ملك جميع الإنس، ومن أسماء الله الحسنى: الملك: فالخلق كلهم تحت سلطانه وتدبيره وقدرته وقهره، فهم عبيده، يتصرف فيهم بما يشاء.

﴿إِلَهِ النَّاسِ ٣﴾ أي: معبود الناس المستحق للعبادة وحده، وكل معبود سواه باطل.

﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ٤﴾ أي: من شر الشيطان الموسوس للناس بالشر، الذي يخنس إذا ذكر العبد ربه. كما قال تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا آَعُوْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ١٦﴾ ثُمَّ لَا تَتَبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ

وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ [الأعراف: ١٦-١٧]. فأمرنا الله أن نستعِذ به من شر الشيطان، فالشيطان حريص على إضلالنا بوسوسته، قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٣١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠-٢٠٢].

﴿الَّذِي يُوسَّوْسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾﴾ أي: الذي يوسوس في قلوب الناس بكلام خفي، فيزين لهم الباطل، ويشككهم في الحق، ويحثهم على المعاصي الظاهرة والباطنة، ويكسبهم عن الطاعات الواجبة والمستحبة، ويبرر لهم تركها بأعذار واهية. قال الله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِهْمَانِهِمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]. وقال سبحانه: ﴿وَقُلْ رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨]. وروى البخاري عن صفية بنت حيي رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم». وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟! فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته». ووسوسة الشيطان في صدور الناس تكون بأمور كثيرة، منها: الوسوسة لإفساد الإيثار، والتشكيك في العقائد، حتى يخرج الإنسان من الإسلام إلى الكفر والإلحاد، فإن لم يقدر على ذلك حثه على المعاصي الكبائر، فإن لم يقدر على ذلك فالصغائر، فإن لم

يقدر على ذلك ثبطه عن الطاعات، فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء في الطاعات، فإن سلم من ذلك أدخل عليه العجب بنفسه، ومن وساوسه أنه يثير في القلب الحسد، والحقد، والغضب، حتى يقود الإنسان إلى الأعمال السيئة، فنعوذ بالله من شره.

﴿مَنْ أَلْجَأَ الْإِنْسَ وَالنَّاسِ﴾ ٦ أي: من شياطين الجن والإنس الذين يوسوسون بالشر في صدور الناس. فالوسوسة قد تكون من الجن، وقد تكون من الإنس من الأصحاب والأزواج والأولاد وغيرهم، فأمرنا الله أن نستعيز به من شر شياطين الجن والإنس، فمن الإنس شياطين، كأصدقاء السوء، فلا تصاحب إلا مؤمنا، فالصاحب صاحب، ومن شياطين الإنس دعاة السوء، الذين يدعون الناس إلى الشهوات والشبهات، وما أكثرهم هذه الأيام في الشاشات وفي وسائل التواصل الاجتماعي، والله المستعان. قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]. وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ٢٧ يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ٢٨ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسِ خَذُولًا ٢٩﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]. وقال عز وجل: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾ ٢٧﴾ [الأحزاب: ٦٧]. وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ ٢٧﴾ [النساء: ٢٧]. فعلى المسلم أن يستعيز بالله من وساوس شياطين الإنس والجن. وقد ختم الله كتابه بالاستعاذة من

الشرور الظاهرة والخفية؛ لتحصل الاستعاذة بالله لمن يقرأ القرآن عند أول قراءته وعند آخر ما يقرأ من المصحف.

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء همومنا، وارزقنا يا رحمن تلاوته وتدبره والعمل به، وارزقنا طاعتك وطاعة رسولك، إنك أنت الوهاب المنان، يا ذا الجلال والإكرام.

وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وأهل بيته وأزواجه وذريته، وارض عن أصحابه، واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.

المحتويات

المقدمة.....	٣
تدبر سورة الفاتحة.....	٥
تدبر آية الكرسي.....	٢٠
تدبر سورة النبأ.....	٢٥
تدبر سورة النازعات.....	٣٣
تدبر سورة عبس.....	٤١
تدبر سورة التكوير.....	٤٨
تدبر سورة الانفطار.....	٥٦
تدبر سورة المطففين.....	٦٠
تدبر سورة الانشقاق.....	٦٩
تدبر سورة البروج.....	٧٦
تدبر سورة الطارق.....	٨١
تدبر سورة الأعلى.....	٨٥
تدبر سورة الغاشية.....	٩١
تدبر سورة الفجر.....	٩٨
تدبر سورة البلد.....	١٠٥
تدبر سورة الشمس.....	١١١

١١٥	تدبر سورة الليل
١١٩	تدبر سورة الضحى
١٢٣	تدبر سورة الشرح
١٢٨	تدبر سورة التين
١٣٢	تدبر سورة العلق
١٣٧	تدبر سورة القدر
١٤٠	تدبر سورة البينة
١٤٦	تدبر سورة الزلزلة
١٤٩	تدبر سورة العاديات
١٥٢	تدبر سورة القارعة
١٥٥	تدبر سورة التكاثر
١٦٠	تدبر سورة العصر
١٦٤	تدبر سورة الهمزة
١٦٧	تدبر سورة الفيل
١٦٩	تدبر سورة قريش
١٧٢	تدبر سورة الماعون
١٧٧	تدبر سورة الكوثر
١٨٣	تدبر سورة الكافرون
١٨٦	تدبر سورة النصر
١٩٠	تدبر سورة المسد

١٩٤	تدبر سورة الإخلاص
١٩٧	تدبر سورة الفلق
٢٠١	تدبر سورة الناس
٢٠٥	المحتويات

